Année No. 455

بدل الاشتراك عن سنة
مصر
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Année - 3 - 11 - 1941

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٣٥ | « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ شوال سنة ١٣٦٠ — الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٩٤١ » | السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

١٣٣٣ « مى » ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد
١٣٣٦ أومن بالانسان ! ... : الأستاذ عبد المنعم خلاف
١٣٣٩ الأخلاق عند الغزالى ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٣٤٤ كيف يكتب التاريخ ... . الدكتور حسن عثمان ... ...
١٣٤٨ ثورة على ابن سينا ... : الدكتور جواد على ... ...
١٣٥١ الصحافة والدولة ... .. : الأستاذ زين العابدين جمعة
١٣٥٤ المصريون المحدثون : ... } للمستشرق إدوار وليم لين
شمائلهم وعاداتهم ... ... } بقلم الأستاذ عدلى طاهر نور
١٣٥٧ إلى ... ! ... [قصيدة] : « الشاعر المجهول » ... ...
١٣٥٨ المحتسب فى الاسلام ... : الأستاذ كامل يوسف ...
أصل كلمة النقط ... ... : الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد
١٣٥٨ فى نقد الأصول ... ... : الأستاذ محمد أبو البهاء ...
١٣٥٩ فى الخوارج ... ... : الأستاذ أحمد صفوان ...
حق الضيافة ... ... : الأستاذ محمد أحمد عمر ...
١٣٥٩ « عبر كذا... » ... ... : الأستاذ محمد محمود رضوان
١٣٦٠ حول كلمة « عبر » ... : الأديب إبراهيم محمد نجا ...
الصباح الأدبى فى دمشق : (ع . ع) ... ...

« مى »

للأستاذ عباس محمود العقاد

كنت يوماً بمكتب صحيفة « المحروسة » فلقيت وأنا خارج منه صاحبها الأستاذ الياس زيادة والد الآنسة « مى » رحمهما الله . وكان من عادته إذا لقيني أن يخاطبني باسم الأديب حسين فتوح ، وإذا لقى الأستاذ فتوحا خاطبه باسمى ومشى معه أو مشى معى مسافة يصحح فيها الاسم ويتلطف بالاعتذار ويتناول بعض الأحاديث العامة ...

وجرى الحديث إلى مؤلفات الآنسة فقلت : إنها جديرة بأن تفخر بها . إنها أعظم كاتبة فى العربية

قال : ولك أن تقول : أعظم كاتب

يريد أن المفاضلة والتفضيل قد يجريان بينها وبين الكتاب ولا يقتصر على الكاتبات . فقلت مزكياً شهادته : ليس زهو الأب وحده بالذى يملى عليك هذه الشهادة . إن كثيرين غيرك ليسبقونك إليها

وكان الرجل على حق فى فخره وتقديره . فمثل الآنسة « مى » من يفخر بها الآباء وغير الآباء من أبناء العربية ، ومنزلتها فى الثقافة وخدمة الرأى منزلة فضلى بين الكتاب والكواتب ، وإن كنت قد أردت أنها أعظم كاتبات العربية جميعاً منذ عرفت

لغتنا الكاتبات ، ولم أرد أنها أعظم الكاتبات فى عصرنا هذا دون غيره

وما تتحدث به ممتع كالذى تكتبه بعد روية وتحضير ، فقد وهبت ملكة الحديث فى طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما هو أدل على القدرة من ملكة الحديث — ونعنى به ملكة التوجيه وإدارة الأحاديث بين الجلساء المختلفين فى الرأى والمزاج والمقام — فيكون فى مجلسها عشرة : منهم الوزير والموظف الصغير ، ومنهم المحافظ والمتألى بالتجديد ، ومنهم المرح الثرثار والوقور المتزمت ؛ فإذا دار الحديث بينهم أخذ كل منهم حصته على سنة المساواة والكرامة ، وانفسح مجال القول لرأيه وللرأى الذى ينقضه ويشتد فى نقضه ، وانتظم كل ذلك فى رفق ومودة ولباقة ، ولم يشعر أحد بتوجيهها وهى تنقل الأحاديث من متكلم إلى متكلم ، ومن موضوع إلى موضوع ، كأنها تتوجه بغير موجه وتنتقل بغير ناقل ، وتلك غاية البراعة فى هذا المقام

بقيت لها هذه الملكة فى أشد أيام السقم والسآمة ، فلم يكن سامعها يحس فرقاً بين « مى » فى إبان عافيتها و « مى » فى ساعات المضنى والإعياء حين يستطرد الكلام إلى الأدب أو إلى التاريخ أو إلى معارض الآراء . ولم أسمع منها قط فى معرض من هذه المعارض إلا ما هو خليق بالإصغاء والتدوين

وكانت لها فطنة للضحك تحيى المساجلة وتزين الحوار ، ولكن فطنتها للمواقف المضحكة كانت أدق من فطنتها للنكتة واشتراكها فيها ، وكانت كبيرة الإعجاب بفكاهة المصريين التى تسميها « القفشة » أو القافية التى لا تعذر ولا ترحم !

بحث بعض أساطين الشرقيين بعد الثورة الوطنية فى توحيد الزى الملائم للبلاد الحارة ، وكان أحد شفيق باشا صاحب الحوليات والمذكرات المشهورة رئيساً لجماعة الرابطة الشرقية وحريصاً على إشاعة الزى الموحد بين الأمم العربية وأمم الشرق الأدنى عامة ، ولفرط حرصه على هذا لم ينتظر إقناع الناس ولبس الزى الذى ارتضاه ثم مشى به فى طرقات القاهرة إلى محطتها مؤثراً المشى على الركوب ليراه السابلة فى تلك الطرقات الحافلة.

وكان يوم ثلاثاء ونحن فى مجلس الآنسة مى والزوار كثيرون وأقبل بعض الفضلاء يبتسم كمن يغالب ضحكة جامحة

فسألته : م الضحك ؟ فقال : كنت اللحظة أعبر بار اللواء فناداني أمين واصف بك وسألنى : أرأيت شفيق باشا فى زيه الجديد ؟ والله لقد حسبته مسجوناً مسوقاً إلى محطة العاصمة لتسفيره إلى اليمان ! !

هى تعرف شفيق باشا وتعرف أمين بك ، وتعرف أن الأول رئيس الثانى فى جماعة الرابطة الشرقية ، ومع هذا لم يرحمه حين جاء فى طريق القافية !

فلا أنسى كيف غلبت ضحكا لهذه المفارقة « المصرية » وهذا التشبيه العابث ، واندفعنا جميعاً نضحك وهى تضحك حتى أغرورقت عيناها بالدموع ، وحتى قال الأستاذ مصطفى عبدالرازق بحيائه المعروف : مابالنا أيها الإخوان نضحك هذا الضحك وننسى وقار المجلس ؟

فهتف به الأستاذ خليل مطران مداعباً : اضحك اضحك يا أخى ! من الذى يجد الضحك ويفرط فيه ؟

وكانت مهرة ضاحكة من سلامها إلى وداعها ، وكانت « مى » فى تلك الليلة كأحسن ما كانت بشاشة وأنساً ونبطة وإقبالاً على الحديث والمسامرة . . . رحمها الله . ما رأيتها بعد ذلك فى صورة آنس من تلك الصورة ، وتلك البشاشة كلها ، وذلك الذكاء كله الآن فى التراب ، بعد سنوات مسحت فيها النضرة ، ورانت الغمة ، ونضب معين الأمل والغبطة ، وطال الألم والعذاب !

ألا ما أسخف الحياة !

* * *

لقد كان مصابها بأمها بعد أبيها فى أشهر قلائل صدمة محطمة زلزلت كل ما بقى فى جنانها من يقين وسلوى

لكنها كانت قبل ذلك قاسية على نفسها كثيرة الانطواء على دخيلتها . وكان يخيل إلى أن احتراسها للفرط خصلة عميقة فى سريرتها لازمتها من ريعان شبابها ، لأنها كانت قليلة الأمن والطمأنينة إلى الناس ، وكانت على دعابتها لا تدع الحواجز بينهم وبينها ، ولا تفتأ وراء سور من الحيطة والكتمان

وكنت أشفق من فرط احتراسها وكلفتها ؛ فقلت لها يوماً

مجترئاً على مصارحتها : أنا على رأيك يا صديقتي في أن النساء لا يؤمنون ، ولكني لست على رأيك في نفع الحذر وجدوى الاحتراس . بل عندي أن عناء الاحتراس أضر من كل عناء يصيبنا به ترك الحذر وقلة المبالاة . فلا تبالي ولا تحترسي وانطلق في حياتك فذلك أخف الضررين

قالت : كأنك تعيد عليّ ما قاله الأستاذ داود بركات

قلت : وماذا قال !

فقصت عليّ حديثاً جرى بينهما في السفينة وهما عائدان من أوربا ، وكانت في السفينة سهرة راقصة والليل رائق والبحر ساج والطرب غالب على المسافرين . ورآها الأستاذ داود منزوية في ركن من الأركان كأنها تأبى أن تشاركهم أو تشاركك الطبيعة في فرصة الصفاء . فناداها كازاجر للتندد : مالك تحكفين على نفسك عكوف العجائز ؟ تعالي ارقصي واطربي مع هؤلاء الفتيات والفتيان فمنهم من هو أكبر منك وكلهم يسبقونك في مجال السرور

قلت : وبماذا أجبته ؟

قالت : تضايقت منه !

ثم أومأت إلى مفترة باسمة وقالت وهي تقتضب الحديث : فإن أردت أن أتضايق منك فعد إلى نصيحتك ونصيحته ... وإياك أن تعود !

وكذا نتبادل الرأي كثيراً ونختلف كثيراً ولا نستغرب هذا الخلاف ولا نكف عن تبادل الآراء ؛ لأن الخلاف بين كل أنثى وفية لطبعها وكل رجل وفيّ لطبعه أمر من البداهة بمكان . فهي تنظر بعين حواء إلى حقائق الدنيا وهو ينظر بعين آدم ، وكلاهما مخلص في خلافه ومستفيد

على أنها كانت ترى في اللغة العربية واللهجة العامية مثل ما أراه ، وكانت على تربيتها الأوربية وإحاطتها بخمس لغات أجنبية تغار على عربيتها غيرة البداوة ، فلا تجاري الذين يميلون إلى مجافاة الفصحى وتبديل النهجئة والكتابة وتذهب في هذا مذهباً قريباً من مذهب المحافظين المتشددين

واسمها « مي » إختصار لاسم « ماري » باختيار أول حروفه الميم وآخرها الياء ، ولكنها أحبت الاسم لعربيته لا لاختصاره ، فإن اسم ماري نفسه ليس بالاسم الطويل ولا الكثير الحروف

تذاكر الأدباء في مجلسها يوماً مناقب رجل من أعظم رجالات المصريين فشاركتهم إعجابهم به وثناءهم عليه ، واستأذنت بعد ذلك أن تلومه أمامهم في أمر صغير

قالت : كنت في الجامعة المصرية فقدمني إليه الأستاذ لطفي السيد وتفضل فأطرى كتاباتي العربية والأفرنجية بما شاء له فضله وتشجيعه

ثم قالت : فلا أدري لماذا نسي الزعيم العظيم أنني عربية وأنني كاتبة عربية واختار أن يخاطبني بالفرنسية ويصر على مخاطبتي بها مع إجابتي له بالعربية على كل سؤال

وبدا عليها حقاً أنها غضبت لعربيتها من أن يخاطبها مصري عظيم بغير لغته ولغتها ، وهي هي التي تتقن خمس لغات وتكتب بكل لغة كتابة يرضاها القراء من أبنائها . ولقد تكون الواحدة من بناتنا وما تحسن لغة واحدة كلاماً فضلاً عن الكتابة ، ثم لا تزال ترطن بها في البيت والطريق مع أبناء جنسها كأنها لا تفهم لغة غيرها

وواجب لي في عنق العربية أن تغار على أدبها كغيرة مي على نسبتها إليها . فما عرفت العربية كاتبة أفضل من مي وأقدر وأجلى ، وليس فضل الندرة هنا بأقل من فضل الإحسان والإتقان .

حياها الله في ذكراها

عباس محمود العقاد

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية : السنة الأولى في مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و٧٠ قرشا عن كل سنة من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة في مجلدين . وذلك عدا أجر قاليرينو قدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشا في الخارج عن كل مجلد .

١١ ـ أومن بالانسان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

آلهة وحيوانات — عمل الطبيعة فى تكوين الانسان الواحد — أزهرت الأشجار وأدركت الثمار — مدنية خالدة ذات سلطان مجيب شامل — جئنا لنحيا لا لنموت — الحياة بالفكر فى المجاهل والمعامل — عبقرية المادة وعبقرية الروح — الذكاء البطر الجموح — إلى أحضان الأمم الكبرى

إذا جردنا الإنسان مما أسبغته عليه الحياة المدنية من أفانينها وأنواعها وأشكالها ظهر لنا أن البون بعيد جداً بين الإنسان الذى أخرجته الطبيعة ؛ وهذا الإنسان الذى غيرته الصناعة وتعقيد الفكر . وظهر لنا أن حياته الصناعية عالم مستقل منفصل خلقه هو . ولكنه عالم غير خالد ولا متوالد إلا باطراد تقديم الإنسان . بخلاف مخلوقات الله فى الطبيعة فإنها أبدية دائمة تمر بها الطبيعة .

وكلما فكرت فى الفرق العظيم بين حياة رجل على الفطرة وبين حياة رجل ألمانى أو انجليزى أو أمريكى وعقدت موازنة بينهما فى المأكل والملبس والملهى والمركب والمعمل والإنتاج والفكر والإحاطة بآفاق الدنيا والتسلط على الطبيعة ظهر لى أن الأول يكاد يكون فى صفوف نوع آخر غير الإنسان ، وأن الثانى ينقصه الروح والعدل ليكون الإنسان المنشود البار بوصايا الله ؛ لأنه هو الذى أحسن الأخذ عنه وخلفه فى الماديات خلافة واسعة ونمت على يده الحياة وتنوعت وتشققت مجاريها وتوسعت . . .

ولا يجوز عقلا أو شرعاً أن يعطى الأول الحياة وعزتها ، وأن يتسلط على الثانى ما دام كل منهما على حالته . كما لا يجوز لحيوان أن يسخر إنسانا .

وكلما استعرضت معارف الإنسان للدنى المدونة فى كتبه وصحفه وألواحه وأرضه وآثاره أدركت مبلغ ماحواه من أمانات الحياة . وأسرار الدنيا ذات التسمت والعمل .

ولا شك أن الإنسان العادى الذى يقرأ صحيفة يومية يحمل ذهنه من قضايا العالم وأخباره فى الصباح والمساء ما لم يكن فى حسبان أحد من السابقين ووجدانه ...

ولا شك كذلك أن هذا كله قد ترك أثره الواسع الشامل فى تكوين الذهن الإنسانى الحالى وتكييف أعصابه وإحساسه بالحياة، غير ما كان عليه الناس فى زمن المواصلات والثقافات المحدودة .

إن الأقدار تصنع عقل الإنسان الحديث وقلبه صناعة تشترك فيها كل معارف الحياة العصرية

ومن الأعمال العظيمة التى تقوم بها الطبيعة الآن عملها فى تكوين الانسان الواحد الخاضع لمؤثرات واحدة . ونحن الذين يقع علينا تأثير أعمالها العظيمة ونعيش فى غيبوبة عن خطواتها بنا لا يدرك منا هذا التأثير إلا الراصدون المسجلون الذين تجعلهم الأقدار مخصصين لرصد خطوات الحياة وتسجيل ظواهرها . وهؤلاء يكادون يكونون نادّين عن حبال الشبكة التى تلف غيرهم من أبناء الحياة .

لقد تركزت المعلومات فصارت القارات كالقرى .. وملايين الجنود كأصابع اليد . . . والدبابات كالنمال . . . والطائرات كالعصافير . . . وأخبار العالم الانسانى كله كأخبار الحى الواحد . . . !

وهكذا تتركز الحياة وتتلخص فى فكر الانسان وتختزل صورها العظيمة فى أرقام وحروف ...

* * *

هذا العصر جدير أن يسمى « عصر الفوران والغليان » — على سبيل التشبيه بسطح ماء فى وعاء على نار — فقد لبث سطح الحياة ساكناً فى عصورها السالفة لا يتحرك إلا حركات موضعية . كما يلبث سطح الماء أول ما يوقد عليه فى النار . حتى إذا ما وصلت حرارته إلى درجة الغليان هدر وفار واشتد وقذف وتبخر وتحول ...

إن عوامل الحرارة كانت تحته من قديم ، ولكنها لم تصل معه إلى درجة الانضاج والحركة السريعة والتحويل إلا أخيراً . وكذلك عصر الانسانية الحالى هو عصر ظهور كوامن أسرارها وأسرار الطبيعة ظهوراً شديداً متلاحقاً .

وقد انكشفت حيوات جميع الناس للناس ؛ فعلموا أنواعهم ولغاتهم وأديانهم ومذاهبهم فى الحياة

وقد كانوا ضائعين منعزلين تائهين كأسرة مفرقة فرقها حادث ... ثم جمعتهم الظروف مرة ثانية ...

إنى أتخيل صورة الدنيا فى عقول ساكنيها الأولين ، وصورتها الآن فى عقول بنيها المثقفين ، فيصيبنى دهش مشوب بفرح وبهجة وشكر لله على تسديده الإنسان إلى غاية ابتدأت تنكشف وجوهها

وكان الأنبياء والحكماء القدماء وحدهم هم المدركين وجهات الحياة . وكانوا في الناس ما يكون البصير بين عميان ، والأب الكبير بين صبيان ، والراعي بين قطعان . وكان قليل من الناس هم الذين يدركون ما يشيرون إليه . ولكن الآن صار العلم والدين والإدراك الصحيح شيئاً مشاعاً كالهواء والماء ، تقاربت فيه المعتقدات والآراء

* * *

أجل ، هذا زمن حصاد جهود الإنسانية ؛ فقد أزهرت الأزهار وأدركت الثمار ، وظهر الحقل مستوى السوق مستغلظ الأعواد ، قد أينعت فيه عُلب الأسرار وحان قطافها ! !

أنظر في بقاع الأرض جميعها تجد إنسانية تفتح عيونها وتستيقظ من غفلاتها لتدرك الحياة الحديثة وتشترك فيها وتتلاقى مع غيرها في خدمتها . وقد زال الانبهام والغموض اللذان كانت تحسبهما عقول الإنسانية القديمة والمتوسطة في ظواهر الحياة . وصار الإنسان معتمداً على نفسه وحسابها الدقيق وأخذها بأساليب الطبيعة في الإنتاج والاختراع ، وترك الاعتماد على الأماني ، فضاقت دائرة الاعتماد على الأقدار ...

ولنلتفت إلى الماضي كثيراً لندرك مدى ما كسبناه وحصلناه من محصولات الحياة كإنسانية واحدة وضع كل شعب وكل حضارة لبنة في بنائها ، حتى خرجت هذه الحضارة العالمية المشتركة التي اقتحمت كل قطر وكل مدينة في الأرض ، وصارت كقدر الله الذي لا مرد له ولا مفر منه

إنها حضارة باقية خالدة لن تبيد ولن تفنى ولن ترتد ! إذ أن بذورها ألقيت في كل مكان ونبتت فيه . فلئن ذهبت أوربا إلى الخراب والدمار لسوف تبقى أمريكا . . . ولئن ذهبتا معاً لسوف يحمل المشعل أمم الشرق وتلك الأمم المنثورة في أرض الله وجزر المحيطات وغيرهم ممن اقتنعوا بأن هذه المدنية هي نبوة الطبيعة ذات المعجزات الداعية التي لا مفر من الإيمان بها والعمل لها وأن هذا العصر هو أوان حصاد الغلال وجني القطاف التي زرعها وتعهدها الأقدمون ، وزادت كل أمة في ميراثها حتى صار فيها من كل قطر وِرْدٌ ومن كل أمة مدد ورِفْدٌ

* * *

إن هذه مدنية فرضت نفسها فرضاً على الناس جميعاً . فرضت آلامها وشرورها كما فرضت إسعادها وخيراتها وعلومها ، وصار الناس لا يستطيعون منها فراراً بعد ما دخلت عليهم أقطارهم قسراً واقتداراً

هي قدر لازم لا فكاك منه كأنها الرياح والأمطار والأشعة

ومما يؤكد أنها خالدة مؤيدة انتشارها في كل مكان وليست كالمدنيات السالفة الموضعية ذات العصبية القومية . لأنها قامت على العلم الذي لا تتناقض حقائقه بتعدد الأماكن والأجناس ، بل تتلاءم وتتوافق بتوافق قوانين الطبيعة الواحدة

وكانت المدنيات السابقة تجارب وجذوراً متشعبة لجذع عظيم هو هذه المدنية الحالية

ولم يحدث في الماضي أن صبغت مدنيةٌ الناسَ جميعاً كما فعلت هذه المدنية ، فخضع لها الموحد والوثني والملحد والمؤمن والزنجي والإسكيمي والشرقي والغربي

ولم يحدث أن وجدت ميادين كثيرة مشتركة بين الناس جميعاً كما وجدت ميادين النشاط العلمي والآلي والصناعي والسياسي والأدبي في رحاب هذه المدنية .

ولم يحدث أن اشتبكت مصالح الناس جميعاً كما اشتبكت الآن بفعل السرعة وسهولة الانتقال وتبادل المنافع وتشعب الاحتياجات

ولم يحدث أن درست ثقافة واحدة في مدارس الأمم جميعها كما درست هذه الثقافة العصرية .

فأي مكان نجا من سلطان مدنية الزمان ؟

أي طريق لم تجس خلاله السيارة ؟ وأي جو لم تخفق فيه الطيارة ؟ وأي بلد لم يستصبح بنور الكهرباء ؟

إن هذه المدنية تحيط بالإنسان في كل أفق من آفاق حياته . وإني استعرض الآن كل ما يحيط بي وأنا أكتب فأجد جميع ما تقع عليه عيني قد اشتركت فيه آلاف العمليات الإنسانية المعقدة . وقد صار إحساسي بها كإحساسي بضرورات حياتي . وأكاد لا أرى شيئاً خالصاً من يد الطبيعة وحدها إلا جسمي ... وحتى هو لم يسلم من هندسة الخلاق و « رتوشه » !

ويمكنك أن تجرد الأرض مما فعله الإنسان فيها وما عقده وركبه ، لتدرك مدى الحياة الأرضية من غيره ومدى العالم الذي أحدثه هو ... وإذا ألقيت نظرة على شارع في نيويورك أو لندن أو القاهرة فإنه يروعك أن ترى ما في مخازنه ومناظره وآثار الأيدي التي عملت فيه ، حتى لا تستطيع بعض الأذهان أن تتخيل الدنيا خالية منه من طول الألفة وطول الغفلة

عن التفكير فى مبادئ الحياة . . .

طوفوا فى شوارعكم أيها الناس بقلب ذاكر للطبيعة مدرك لمباديها لتعرفوا مقدار ما بينكم وبينها ومقدار قوتكم الابتداعية فتتلفتوا لأنفسكم متعجبين محترمين محافظين عليها وعلى قواها الفكرية والانتاجية من الضياع والذهول والنفلات !

إن أفراح الحياة تغمر قلبى حين أطوف بجسمى فى الشوارع العظيمة ، أو حين تطوف بى الحياة فى دور السينما ، فأرى عجائب ما استحدثه الإنسان فى عوالم المواد والمعانى ...

ولست أزهد فى رؤية الحياة المادية وتقصى دقائقها ، لأن كل دقيقة منها ترسل فى قلبى دقيقة من التعجب والإيمان ...

ما جئنا للحياة لنموت ونستحضر فلسفة الموت من أول يوم ، والقبر ليس نهاية ، وإنما هو بداية مرحلة تالية ... فمن الذين يجعلون القبور نصب أعينهم فيهونوا من أجلها كل عظيم ولو كان الصحة أو العلم أو التفاؤل ، أن يعلموا أنهم جاءوا ليحيوا ويحسوا الحياة عميقة فيما خلق الله من شىء ، وينتفعوا به انتفاع الحلال والعقل والحفظ ...

ومن الكفر أن تترك الأجسام فريسة للجراثيم الفاتكة والآفات وعوامل الشؤم انتظاراً للموت الأكبر .. فيدب فيها منذ ولادتنا ..

كذلك يجب أن يكون إيمان الرجل المتمدن ... إيمان البصير الواثق بأن عمل النفس البشرية فى المادة باب إلى الإيمان لا الكفر كما يتوهم الأغبياء البلداء الأغرار !

إنى لا أعيش فى نفسى وحدها ، ولكنى أعيش فى نفوس بنى الدنيا جميعاً ، لأرى الحياة بعيونهم من آفاقهم ، حتى أخرج ومعى كثير من أسرار الحياة فى القلوب والعقول ...

وأنصح لأصحاب الإيمان التقليدى أن يستحدثوا فى قلوبهم ونظراتهم ما أستحدث ، ليعرفوا أى لذة وأى إيمان مضاعف يغمر قلوبهم ...

وأنصح لأصحاب النظرة المادية والذهول عن المعانى ، أن يستحضروا أرواحهم وراء كل نظرة وكل عمل وكل علم ... فإن هذا هو الوضع الحقيقى لحياة الفكر والاستعمال الحق للروح وقوى الجسم ...

ولنعش بأفكارنا وأرواحنا دائماً ، سواء أكنا فى غايات خط الاستواء ، حيث الطبيعة بكر غير مفضوضة لم يطمثها إنس ولا جان ... أم فى مصانع « فورد » بنيويورك ، حيث يدور الفكر مع الحديد فى نجمة وتسعيد وقدرة !

* * *

الغربيون قدموا لنا عبقرية المادة ، فلنقدم لهم عبقرية الروح ... فلنخدم أرواحهم كما خدموا أجسامنا ... !

إنهم استغنوا بذكائهم عما وراء الطبيعة ، وقد كفاهم ذكاؤهم تدبير أمورهم كلها فيما يخيل إليهم مع أن الواقع أنهم فى شبكة الأقدار العليا والتدبير الشامل لحياة الأرض . والرجل الذكى غنى بالحيل وتجدد الأفكار . والغنى يبث دائماً على الطغيان . ومن هنا أتى الغربيون ودخلت عليهم نكبات الحياة لأنهم اعتمدوا على غنى ذكائهم وحده

وحين يستغنى الطفل بذكائه وقدرته عن ثدى أمه ورعايتها ، ويعلو مستواه البدنى والعقلى عن مستواها ، فذلك عهد ابتداء عقوقه إياها إذا لم يكن ذا ذخيرة موفورة من الإدراك والحب والرحمة والأدب ، وما دام ينسى أنه قطعة قدت من جسمها وقلبها ، وأنها الوشيجة الوثيقة بينه وبين أرومة الحياة والطبيعة

وكذلك ينسى الإنسان الذكى عجزه أمام قهر صاحب الطبيعة ويستغنى بذكائه عن الاستمداد منه والاستيحاء منها فيصير مخلوقاً يكاد يكون لا صلة بينه وبين ما فى الطبيعة من موجودات تسير طائعة بالإلهام والتوجيه

فهل نترك الغربيين يذهبون بأرواحنا وأرواحهم فى أودية بعيدة عن الرحمة والصداقة والأشواق إلى المجهول والبحث عن الله ذى الجلال ؟!

أنتركها ونتركهم للحديد البليد القاسى يطبعها بطابعه ، ويوحى إليها بيأسه سياسة البطش والطغيان ، ويشغلها بضجته المنكرة عن همسات القلوب وأصوات الضمائر ؟

إننا إن تركناهم وتبعناهم على الخير والشر فسوف تكون فرائسهم وجزر سيوفهم وطعين طواحينهم الحديدية الحمراء !

فلنذكرهم بمبادئ الطبيعة أمنا وأمهم ، تلك المبادئ التى فيها من منطق الوجدان أكثر مما فيها من الذكاء الجامح وقوة الاختيار من غير ضابط من هدى الطبيعة

وإن الطبيعة لتذكر أبناءها دائماً بوصايا الحق والعدل كما تذكر الأم البسيطة أبناءها الأذكياء بوصاياها وعواطفها التى

مسابقة الأدب العربي لطلبة السنة التوجيهية

« الأخلاق عند الغزالى »

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — الكتاب والمؤلف — اليوم المشهود — انتقال القلب من مكان إلى مكان — الروح السائد فى الكتاب — العناصر الرئيسية — الكفر والايمان — كلمة تنفع شبان الجيل الجديد ...

تمهيد :

أنا أشعر بأن مقال اليوم لن يخلو من ضعف ، لأنى أكتبه وأنا كاره ، والإجادة لا تتاح إلا لمن يكتب بشغف وشوق ، وإنما أقبل كارهاً على مقال اليوم لأنه متصل بأحد مؤلفاتى ، وأنا لا أحسن وصف هذه المؤلفات إلا فى المواقف التى تمدّ النفس بموجبات الزهو والخيلاء ، ولا شىء من ذلك فى هذا الوقت ، لأن فورة الهجوم على كتاب « الأخلاق عند الغزالى » قد خمدت منذ أعوام ، بعد أن شغلتُ الناس وشغلونى بأبحاث بعيدة عن موضوع هذا الكتاب

ولكن ، ما الذى يدعو إلى هذا المقال وحالى كما وصفتُ ؟

يدعو إليه أن الكتاب مقرر لمسابقة الأدب العربى ، ولا بدّ من معاونة طلبة السنة التوجيهية على إدراك بعض ما فيه من مقاصد وأغراض ، على نحو ما صنعتُ فى السنة الماضية ، وعلى نحو ما سأصنع فى السنة الحاضرة ، فى درس الكتب المقررة للمسابقة بين أولئك الطلاب

ولو أننى وجدت من ينوب عنى فى الكلام عن كتابى ، لأعفيت نفسى من هذا الواجب المزعج ، فلم يبق إلا أن أتكلم عن كتابى كما أتكلم عن كتب الناس ... وهل فى الدنيا شريعة تفرض علىّ أن أنصف الناس وأظلم نفسى ؟

وليكن مفهوماً أنى سأنظر إلى كتابى بعين المحب ، فحسبى وحسبُه ما عانينا من الظلم والاضطهاد . ألم يرفض جماعة من علماء العراق مصافحتى بحجة أنى آذيت الغزالى ؟ ألم يقُل جماعة من علماء مصر بأنى وجهت أقوال الغزالى إلى غير ما كان يريد ! ألم يقترح الأستاذ جاد المولى بك أن يُنصّ فى محضر الامتحان على أن اللجنة غير مسئولة عما فى الكتاب من آراء ، وإنما مُنح مؤلفه إجازة الدكتوراه جزاء ما بذل من الاجتهاد فى استنباط تلك الآراء ؟

لن أذكر كتابى بغير الجميل ، وإن كنت أعلم الناس بما فيه من عيوب هى فى نظرى من غرائب الجمال . وهل يعاب عليه غير أقباس من الحيوية لا ينجو منها شابٌّ كالذى كنتُ فى سنة ١٩٢٤ ؟

رُدونى إلى ما كنت عليه من شراسة وحُمق فى ذلك العهد ، وخذوا ما أملك من ثروة وصيت ، فيومٌ واحد من شبابى أطيب وأنضر من جميع أطايب الوجود

الكتاب والمؤلف :

يقع هذا الكتاب فى أكثر من أربعمائة صفحة بالقطع المتوسط ، وثمنه خمسة عشر قرشاً ، أما النسخة المجلدة فتباع بعشرين ، فأرجو المكتبة التجارية أن تراعى هذا السّعر ، فلا ترهق التلاميذ ، لأن أكثرهم أفقر منى

وقد قُدّم هذا الكتاب لنيل الدكتوراه فى الفلسفة من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ ، وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من حضرات الأساتذة الأكابر : منصور فهمى ، وأحمد ضيف ، ومحمد جاد المولى ، وعبد الوهاب النجار ، وأحمد عبده خير الدين ؛ وقد انتقل النجار وخير الدين إلى جوار الله ، فإلى روحيهما فى دار الخلود أقدّم أصدق التحية وأطيب الثناء

بنت عليها عشها . فهما اختلفت أفكار الناس وأخلاقهم فإنهم يتوحدون حين يقفون بين يدى الطبيعة ويشعرون بشعور واحد فيه صدق الفطرة واعتدالها

ومبادئ الأمومة وجوُّها وبساطتها وعدم تكلفها ، والحنينُ إليها والشوق إلى مهدها يجب ألا تنسى ؛ لكى يعيش الإنسان باراً بريئاً عامر القلب بالعواطف الشريفة ذات التأثير الكريم فى خدمة الحياة !

وكما يوصف الرجل الذى يهجر أمه بالعقوق واللؤم مهما كانت هى بسيطة جاهلة ، ومهما كان هو فائق العقل واسع العلم عريض الجاه ، كذلك يوصف الرجل بالعقوق حين يهجر أحضان الأم الكبرى الطبيعة ، أو حين يؤذى أو يهمل إخوته منها !

عبد المنعم محمد خلوف

واسم المؤلف محمد زكى عبد السلام مبارك ، وكان فيما سمعت شابًا يحاول الوصول إلى الحق ، وطريق الحق كثير الأشواك والعقبات : فلم يصل إلا بعد أن أدمى قدميه ، إن صحّ أن الله أراد أن يكون من الواصلين

ويظهر أن المؤلف كان يسأل ثورة روحية وعقلية عند تأليف هذا الكتاب ، وهو نفسه حدثنى أنه صاحبَ الغزالى فى مؤلفاته نحو خمس سنين ، فأسرَه الغزالى على نحو ما يصنع بمن يواجهون نوره الوهاج ، ورأى المؤلف أن تأليف كتاب فى « الأخلاق عند الغزالى » لا يتيسر إلا بعد النجاة من أسر الغزالى ، فجمع قواه وكسر باب الأسر ، ليتنسم أرواح الحرية الفكرية ، وليلقى الغزالى لقاء النِّد للنِّد ، إن كان للغزالى أنداد

وفى مدى ثلاث سنين استطاع ذلك الشاب أن يكتب رسالة للدكتوراه فى الفلسفة عن « الأخلاق عند الغزالى » ، وهى رسالة شرّقت وغرّبت ، بحق أو بغير حق ، واهتم بها الدكتور سنوك هوجرنيه ، فنشر فى الثناء عليها بحثاً باللغة الهولندية كان طليعة التنويه بالمؤلف فى بيئات المستشرقين

اليوم المشهود

هو اليوم الذى نوقش فيه المؤلف بمجلسة علنية فى الجامعة المصرية ، فقد كان بين الحاضرين جماعة من أساتذة الأزهر الشريف ، على رأسهم الأستاذ الجليل عبد المجيد اللبان شيخنا وشيخ أشياخنا وصاحب الفضل على كثير من العلماء ، وقد طاب للشيخ اللبان فى ذلك اليوم أن يعترض من وقت إلى وقت بأسلوب يُحرج المتحَن ويحرج لجنة الامتحان ، واتقى أثره المرحوم الشيخ محمد الإبيارى فاعترض بعبارات حملت الدكتور منصور فهمى على أن يعلن أن الجمهور لا يصح له التدخل فى شؤون هى من حق لجنة الامتحان

وانتقلت الثورة من الجمهور إلى أساتذة الجامعة من غير لجنة الامتحان ، فتقدم معالى الأستاذ حلمى باشا عيسى وأسر فى أذن الدكتور منصور فهمى أن الدكتور طه حسين يريد أن يوجه ثلاثة أسئلة إلى زكى مبارك ، فأعلن الدكتور منصور أن لأساتذة الجامعة وحدهم أن يتدخلوا فى الامتحان ، وهو لذلك يعطى الكلمة للدكتور طه حسين ... والله الحفيظ !

وكانت معركة لم أنتصر فيها إلا بأعجوبة ، فقد كان الدكتور طه هزمنى قبل ذلك فى امتحانات الليسانس مرتين !

ثم كانت النتيجة أن يفوز الطالب بعد امتحان دام نحو ثلاث ساعات فيصير دكتوراً فى الآداب بدرجة « جيد جداً » من الجامعة المصرية .

انتقال القلب من مكان إلى مكان

ورأى الأستاذ خليل بك ثابت أن يرسل مندوباً يشهد الامتحان ويحدث قراء المقطم عما وقع فيه من جدال وصيال ، وقد وقع اختياره على المرحوم حسن حسين ، وكان أديباً له بَدَوات ، فلخص معركة الامتحان بأسلوب صورنى فيه بصورة المتأثر على التقاليد الدينية ، فانبرى لمجادلتى على صفحات المقطم عالمان جليلان ، أحدهما الشيخ أحمد مكى ، طيب الله ثراه ، وثانيهما أستاذى فى أكثر ما تلقيت من العلوم الدينية وهو الشيخ يوسف الدجوى ، ولم أستطع الرد على هذين الأستاذين الجليلين — وكان يشرفنى أن أجاريهما فى ميدان الفضائل — لأنى علمت من إدارة الجامعة عن طريق الأستاذ سامى راغب أن مساعد السكرتير العام بوزارة المعارف وهو الأستاذ محمود فهمى النقراشى طلب من الأستاذين جاد المولى وخير الدين أن يقدما تقريراً عن امتحان زكى مبارك فى الدكتوراه ، ولأن الدكتور طه والدكتور منصور نصحانى بالسكوت عما أثار امتحانى من جدال ، وهى نصيحة سجلها الدكتور طه فى جريدة السياسة وهو ينقد كتاب « مدامع العشاق » فى أوائل سنة ١٩٢٥

وأقول إن قلبى انتقل من مكان إلى مكان بسبب هجوم الشيخ أحمد مكى والشيخ يوسف الدجوى ، فما كنت أنتظر من هذين الأستاذين أن يثيرا مجاجة يهتاج بها الجمهور ، وتلتفت إليها وزارة المعارف

ولم يصح عندى أن هجوم الشيخ مكى والشيخ الدجوى يستند إلى الحق ، فأسررتها فى نفسى ، وقلت إن رجال الدين لن يكونوا دائماً ملهَمين ، وذلك هو السبب فى أنى أجازيهم ظلماً بظلم وإجحافاً بإجحاف ، من حين إلى حين

ولكن لا بأس ، فقد استطاع كتاب «الأخلاق عند الغزالى أن يقاوم هجمات الناقدين عدداً من السنين إلى أن تعرض له ناقد لا يرحم المؤلف ، وإن كان يحمل اسم المؤلف ، ففى اليوم الرابع من

أبريل سنة ١٩٣٧ وقف طالب يؤدى امتحان الدكتوراه فى جلسة علنية بالجامعة المصرية . وكان أكبر همه أن ينقض آراء الطالب الذى وقف هذه الوقفة فى الخامس عشر من مايو سنة ١٩٢٤

فماذا صنع ؟ أثبت فى كتاب « التصوف الإسلامى » أنه ظلم الغزالى فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » والحكم على النفس من مظاهر القدرة على مغالبة الأهواء

روح الكتاب

وقد حاولت مرات كثيرة أن أرجع إلى هذا الكتاب بالتغيير والتبديل لأقدمه بصورة جديدة إلى عشاق الدراسات الأخلاقية، ولكنه يأسرنى كلما نظرت فيه ، لأنى ألفته فى أوقات كنت فيها ثائر القلب والعقل على فهم القدماء للأخلاق ، وهى ثورة لم أتح من شرها إلى اليوم ، وقد أسايرها وتسايرنى إلى آخر أيامى . وكيف يهدأ من يروعه أن يرى فى رجال الدين من يسرفون خريطة الحياة الأخروية ويجهلون خريطة الحياة الدنيوية ؟

إن كتاب « الأخلاق عند الغزالى » لم يكن إلا دعوة صريحة إلى التشكيك فى أصول الأخلاق الموروثة عن القدماء ، والمؤلف يقسم الفضائل إلى قسمين : فضائل سلبية وفضائل إيجابية ، ثم يقرر أن الغزالى وجه أكثر اهتمامه إلى الفضائل السلبية « ولم يُعنَ بشرح الفضائل الإيجابية كالشجاعة والإقدام والحرص وما إلى ذلك مما يحمل المرء على حفظ ما يملك ، والسعى لنيل ما لا يجد ، فإنه لا يكفى أن يَسلم الرجل من الآفات النفسية ، بل يجب أن يزود بكل مقومات الحياة . وخير للمرء أن يوسم برذائل القوة من أن يتحلى بفضائل الضعف ، فإن الضعف شرٌّ كله ، ولكن أكثر الناس لا يفقهون »[1]

وقد عاب المؤلف على رجال الدين أن ينسحبوا من الميدان السياسى فى الأوقات التى يُفرَض فيها الجهاد ، فطوق الغزالى بطوق من حديد حين سجل عليه أنه لم يؤد واجبه فى التحريض على مقاومة الحملات الصليبية ، مع أنه « حجة الإسلام » ومع أن صوته كان مسموعاً فى أكثر الأقطار الإسلامية

وأثبت المؤلف فى لواحق الكتاب مقالاً نشره فى المقطم بتاريخ ٤ يونية سنة ١٩٣٤ أيد فيه القول بأن الدين الإسلامى دين فتح وامتلاك ، وهو مقال كتبه فى الرد على من ناوشوه من العلماء وفيه يقول :

« الظاهر أن حضرات العلماء فهموا من الفتح التخريبَ والاعتداء على الشعوب . كلا ، يا هؤلاء ! الدين الإسلامى دين فتح ، رضيتم أم كرهتم ، والفتح آداب وشروط سنها الدين الحنيف ، وأنتم حين تنفرون من كلمة « الفتح » إنما تجارون الأجانب الذين يترددون إليكم بوصف الإسلام بالقناعة والرضا بالقليل ، وهذا خطأ صُراح ، فالدين الإسلامى أبعد الأديان عن الزهادة وأبغضها للخمول ، ولا حرج على الإسلام فى أن يرغب أتباعه فى امتلاك ناصية العالم ، فإن هذا أمل نبيل ، ولم يحدثنا التاريخ عن أمة قوية أو ملة قوية وضعت حداً لمطامعها فى الحياة ، وإنما ترغم الأمم الضعيفة أو الملل الضعيفة على أن تحدد آمالها وأطماعها بضيق الحدود »[1]

وهذه الفقرة توضح بعض اتجاهات المؤلف فى تفسير الأغراض الصحيحة للدين الإسلامى

وأنكر المؤلف على الغزالى أن يتعلق بأهداب الآداب السلبية التى دعا إليها الإنجيل ، وفى ذلك يقول :

« إن الآداب التى وضعها الإنجيل غير طبيعية ، على معنى أنه لا يمكن أن يسكن إليها بطبيعته أحدٌ من الناس ، فالحكمة الإنجيلية التى تقول : (مَن ضربك على خدك الأيمن فأدِرْ له خدك الأيسر) حكمةٌ غير معقولة لا يقرّها عُرف ولا يدعو إليها قانون ... والحكمة المسيحية التى تقول : (من سخّرك ميلاً فامش معه ميلين) حكمة غير ممكنة القبول ، ومن المستحيل أن تجد مسيحيًّا يدير لك خدك الأيسر حين تضربه على خده الأيمن ، أما المسيحىّ الذى يتبعك ميلين حين تسخره ميلاً فهو نادر الوجود »[2]

ثم يقول المؤلف بعد كلام مفصّل فى نقد الأخلاق المسيحية : « أليس من الغريب أن يصدّق الغزالى أن عيسى يقول : (من أخذ رداءك فأعطه إزارك) ومَن الذى يرضى من المسلمين أو النصارى أن يتأدب بهذا الأدب الغريب ؟ »

وينفى المؤلف عن نفسه تهمة التحامل على المسيح فيقول : « ونحن بهذه الكلمات لا ننكر نُبوة عيسى عليه السلام ، وإنما نرجح أن أتباعه جَنَوا على شريعته بما زوّروا باسمه من الأحاديث ، وهذه جناية كثيرة الأمثال فى تواريخ الشرائع ، فإن الإسلام مع تواتر سنده الأول وهو القرآن لم يَسلم من

(١) الأخلاق عند الغزالى ص ١٨٥

(١) الأخلاق عند الغزالى ص ٤٢١

(٢) أنظر ص ٩٠

أصحاب الغفلة وأصحاب الأغراض من زوروا الأحاديث باسم النبي حتى كادوا يقضون على ما للاسلام من قوة الحق وروعة الجمال ... ونحن كذلك لا ننكر أن المسيحية تدعو إلى الزهد ، ولكنا نرجح أنها كانت تدعو إلى الزهد بقدر ما تقلّ من حدّة الناس وتقلل من جشعهم وطمعهم ، أما الدعوة إلى الفرار من طيبات ما أحلّ الله فهي دعوة بعيدة الوقوع من الأنبياء والمرسلين »[1]

هذا الروح السائد في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » هو الذي يطغى عليه ، ويصرفني عن التعرض له بالحذف والإيصال ، مع أني رجعت عن بعض الآراء المدونة فيه حين ألفت كتاب « التصوف الإسلامي » ، وبين الكتابين أعوام تنقّل فيها عقلي من أفق إلى آفاق

والمهمّ هو أن ينظر طلبة السنة التوجيهية إلى المعضلات المبثوثة في هذا الكتاب بالعين التي نظر بها المؤلف ، ولهم أن يثوروا على المؤلف كما ثار على نفسه في كتاب « التصوف الإسلامي » إن اتسع وقتهم للبحث والاستقصاء

وأهم من هذا أن يمتحنوا ما في هذين الكتابين من آراء فلسفية ، ليُشعروا لجنة الامتحان بأنهم انتقلوا من الدرس والاستيعاب إلى النقد والتحقيق ، وليس هذا بكثير على شبان هم بإذن الله طلائع الجيل الجديد

العناصر الرئيسية

في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » أربعة عشر باباً ، وفي كل باب عدة فصول ، ومن مواد هذا الكتاب تتضح ألوان كثيرة من التفكير الفلسفي عند العقول الإسلامية ، وتظهر عبقرية الغزالي في تضارة وإشراق

وأسلوب الكتاب يغلب عليه الحذر والتهيّب ، وقد يصل إلى الرمز والإيماء ، لأن المؤلف كان يعاني رقابة عنيفة ، هي رقابة اللجنة المكلفة بالنظر في صلاحيته لامتحان الدكتوراه ، وإن كان من واجب المؤلف نحو نفسه أن يعلن أن تلك اللجنة لم تحذف منه غير فقرتين اثنتين ، ولم تُشر بغير زيادة كلمات ممدودة تحدّد المراد من بعض الأغراض

وكان شاع منذ أعوام أن كتاب « الأخلاق عند الغزالي » من تأليف الدكتور منصور فهمي ، وهي إشاعة تشرّفني وترفع من قدري ، فأنا تلميذ هذا المفكر الجليل ، ولو قضيتُ العمر في الثناء عليه لما وفيته بعض حقه في تعليمي وتثقيفي ؛ ولكن كتاب « الأخلاق عند الغزالي » كتابي لا كتابه ، بشهادة ما فيه من غطرسة واستعلاء ، وأستاذنا الدكتور منصور آية في التواضع المقبول

وكان يجب أن ألخص ما في الكتاب من أبواب وفصول ليسهُل درسه على المتسابقين ، ولكني نظرت فرأيته في غاية من الوضوح والجلاء ، فلم يبق إلا أن أنص على ما يجب درسه بعناية والتفات :

في الباب الأول فصول تصوّر عصر الغزالي بإيجاز وتصف المدائن التي عرفها الغزالي ، وسيُسأل الطلبة عن محتويات هذا الباب

وفي الباب الثاني فصول عن أسرة الغزالي ومولده ونشأته وحياته الروحية ، ومبلغ فهمه للحياة ، وسيُسأل الطلبة عما حصّلوه من عناصر هذا الباب

والباب الثالث متعب ، لأنه خاص بالينابيع التي استقى منها الغزالي آراءه الفلسفية ، ولا بد للطلبة من مذاكرة أساتذتهم في الاهتداء إلى تلك الينابيع

وفي الأبواب التالية يكون الكلام في صميم المبادئ الأخلاقية بنظرتين مختلفتين : نظرة الغزالي ونظرة المؤلف ، ومن واجب الطلبة أن يمتحنوا هاتين النظرتين بفهم وذوق ، ليقيموا الدليل على ما يملكون من أصالة الفكر ورجاحة العقل

فإذا كان الباب التاسع رأينا المؤلف يحاسب الغزالي على آرائه في العلوم والفنون وفي التربية والتعليم ، وهو باب سيُسأل الطلبة عما فيه من آراء ، لأنه وثيق الصلة بالموازنة بين العقل القديم والعقل الجديد

وفي الباب العاشر يتكلم المؤلف عن الواجبات الفردية والاجتماعية ، ويقع هذا الباب في أكثر من خمسين صفحة ، ويكفي الطالبَ أن يدرس منه عشر صفحات ، ليواجه لجنة الامتحان وهو على شيء من التحصيل

وفي الباب الحادي عشر يطول الكلام عن تأثير الغزالي في عصره وما تلاه من العصور ، وللطالب أن يقرأ من هذا الباب

(١) أنظر ص ٩٣

ما يشاء ، ولكن عليه أن يدرس الصفحتين ٣٦١ و ٣٦٢

وفى الباب الثانى عشر كلامٌ عن أنصار الغزالى وخصومه ، وهو موضع اعتراض ، فقد قيل إن المؤلف أوجز فى الكلام عن أنصار الغزالى مع أنه تحدث عن خصومه باطناب ، فعليك أن تعتذر عن المؤلف بلطف !!

أما الباب الثالث عشر فهو فى الموازنة بين الغزالى والفلاسفة المحدثين ، وفيه فصلٌ مهمٌ جداً عن الموازنة بين الغزالى وديكارت ولن تعفيك لجنة الامتحان من هذا الفصل ، لأنه من عيون الكتاب ، ولأن التأمل فيه قد يجذبك إلى الدراسات الفلسفية

وفى الباب الرابع عشر تجد (آراء علماء العصر فى الغزالى) من أمثال الأساتذة : منصور فهمى ، على عبد الرازق ، يوسف الدجوى ، محمد جاد المولى ، عبد العزيز جاويش ، الكونت دى جالارزا ، على العنانى ، عبد الوهاب النجار ، حسين والى ، عبد الباقى سرور ، أحمد أمين

فإن استطعت أن تقرأ الكتاب كله قراءة الفهم أولاً ، وقراءة النقد ثانياً ، فستظفر بالجائزة الأولى ، وسيصافحك وزير المعارف مصافحة الود والإعجاب

الكفر والإيمان

فى الموازنة بين الغزالى وكارليل تقع صحائف أراها من النفائس ، وقد تكون أصدق ماجرى به قلمى ، وهى من صفحة ٣٨٩ إلى صفحة ٣٩٩ ، ولا أستطيع تلخيص تلك الصفحات فى هذا المجال ، طلباً للنجاة من الدخول فى معارك نفضت من غبارها يدى ، فقد راضتنى الأيام بعد الجموح ، وانضممت كارهاً إلى العصابة التى تقول بأن الرياء سيد الأخلاق !

هذه الصفحات تنفعك فى الامتحان ، لأنها تشهد بأنك وصلت إلى الأسرار المطوية فى كتاب « الأخلاق عند الغزالى » وذلك هو الغرض المنشود ، ولكنها ستضرك وستؤذيك ، لأنها ستفرض عليك أن تزن « المسئولية الأخلاقية » بميزان جديد وأنت فى غنى عن هذه المتاعب الثقال !

كلمة تنفع شباب الجيل الجديد

قد يكون فيكم من يتوهم أن اللجنة التى تحتكمون إليها فى مسابقة الأدب العربى يسرها أن تراكم أبواقاً تحكى ضلالات المجتمع فى فهم الأدب والأخلاق ، هيهات ثم هيهات ، فستؤلف تلك اللجنة من رجال وزارة المعارف ورجال كلية الآداب ، فأفهموهم بلسان الحال ولسان المقال أنكم طلائع الجيل الجديد ، وأنكم جديرون بما لهم فيكم من آمال

وبالنيابة عن اللجنة أوصيكم بدرس ما يطيب لكم من مواد الكتب المقررة للامتحان الشفوى ، على شرط أن تعلنوا اللجنة بذلك ، وعلى شرط أن يكون لكم فى التعقيب على المؤلفين آراء تجعلكم من أرباب الفكر الأصيل

ليس المهم أن تقرأوا الكتاب من الألف إلى الياء ، ولكن المهم أن تدركوا سريرة المؤلف ، وأن تحاسبوه بنزاهة وإخلاص

أنتم فى السنة التوجيهية إلى كليات الجامعة المصرية فأفهموا لجنة الامتحان أنكم انتقلتم من التحصيل إلى التفكير ، فالتفكير هو الغرض المنشود

وسنتكلم فى الأسبوع المقبل عن « ابراهيم الكاتب » ؛ فإلى اللقاء

زكى مبارك

ظهر حديثاً

الكف وأسرار النفس

للأستاذ أحمد السنوسى

إخصائى الحالات النفسية

يرشدك إلى الطريق التى يجب أن تسلكها فى الحياة طبقاً لاستعداداتك ويجعلك تكشف عن نقط الضعف فيك لتعمل على تقويتها أو القضاء عليها . يكشف لك عما يهددك من الأمراض الجسمانية والنفسانية لتتبع طرق الوقاية منها ، يوضح لك كيف تحطم العقبات التى توقف نجاحك فى الحياة . وأخيراً تجد فيه تقارير عما تنطق به خطوط أيدى : دولة اسماعيل صدقى باشا . الدكتور طه حسين بك . الأستاذ عباس محمود العقاد . السيدة هدى هانم شعراوى . الدكتور عبد الله العربى بك . محمود حسيب بك . الأستاذ فريد أبو شادى بك . المطربة ملك . الفنانة أمينة رزق — ويطلب من مكتبة الأنجلو ٣٣ ش قصر النيل ، ومن المؤلف ٣٣ ش الملكة فريدة — ثمن النسخة خمسين قرشاً عدا أجرة البريد ٣ قروش داخل القطر و ٥ قروش خارج القطر

كيف يكتب التاريخ

للدكتور حسن عثمان

مدرس التاريخ الحديث بكلية الآداب

— ٦ —

نقد الأصـــول

تعيين شخصية المؤلف وتحرير زمانه ومكانه التدوين(*)

إذا ما ثبت الباحث أن الأصل أو المصدر التاريخي صحيح وغير مزيف فليس معنى ذلك أن المعلومات الواردة به ذات قيمة تاريخية كبيرة . ولا بد من نقد الأصل التاريخي من نواح أخرى . وبعض الأصول تحمل اسم مؤلفها وزمان ومكان تدوينها، والبعض الآخر الذي يكون عليه طابع الصحة وعدم التزييف ينقل بعض أو كل هذه النواحي ، فينقص ذلك من قيمتها التاريخية . فكيف يقدر الباحث قيمة الأصل التاريخي وهو يجهل اسم المؤلف وشخصيته وعلاقته بالحوادث التي كتب عنها ؟ هل شهدها بنفسه أم سمعها ونقلها عن الغير ؟ ومتى دونها ؟ هل دونها أثناء وقوع الحوادث أم بعدها بزمن طويل ؟ وفي أي مكان تم ذلك التدوين ؟ هل كان في مكان وقوع الحوادث أم في جهة بعيدة عنها ؟ من الضروري جداً معرفة كل هذه النواحي بقدر المستطاع . فكيف السبيل إلى تحقيق كل ذلك ؟

إن معرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي مسألة هامة لأن قيمة المعلومات التاريخية التي يوردها ترتبط كل الارتباط بشخصية الكاتب وبمدى فهمه للحوادث وبكل الظروف التي تحيط به على وجه العموم . فالمعلومات التي يدونها الأمير أو الحاكم تختلف عن المعلومات التي يسطرها السياسي أو صاحب المهنة أو الجندي أو رجل الشعب . وكاتب الأصل التاريخي ، سواء كان شاهد عيان أو اعتمد على غيره من شهود العيان ، يعتبر الواسطة التي يصل المؤرخ عن طريقها إلى الوقائع التاريخية . فإذا كان الكاتب شخصاً صادقاً عدلاً بعيداً عن الأهواء بقدر المستطاع كانت معلوماته صحيحة بصفة عامة ، والعكس صحيح أيضاً . وعلى ذلك تتضح أهمية البحث لمعرفة أكبر قسط ممكن من المعلومات عن كاتب الاصل أو الوثيقة التاريخية . وفي هذه الناحية كغيرها من نواحي نقد الأصول التاريخية الأخرى ، يصبح عمل المؤرخ شبيهاً بعمل القاضي ، والقاضي يمتاز بأن شهود الحوادث أحياء أمامه بالحق أو بالكذب ينطقون ، ولكن المؤرخ عليه أن ينتقل من الحاضر إلى الماضي بالعقل والنقد والخيال ، وأحياناً تضيع هباءً جهود المؤرخ لمعرفة اسم وشخصية كاتب الأصل التاريخي فيظل مجهولاً ، وأحياناً أخرى لا يمكن للمؤرخ إلا أن يجمع بعض المعلومات القليلة عنه . ونلاحظ أن وضع اسم شخص على أصل أو مصدر تاريخي لا يفيد دائماً أنه كاتبه كما فهمنا ذلك من عوامل الدس والانتحال . وإذا عثر الباحث على الأصل التاريخي المخطوط أمكن في أحوال كثيرة التعرف على شخص الكاتب أو الاقتراب منه على الأقل ، بدراسة الخط ونوع الورق والحبر واللغة والأسلوب والمصطلحات الخاصة بعهد تاريخي معين وبدراسة المعلومات التاريخية الواردة به

وإنه ليختلط الأمر أحياناً على الباحث في التاريخ فيخطئ في نسبة الأصل التاريخي إلى كاتبه الحقيقي . ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الأب بواس قرالي أنه عند حضور علي باشا أمير البحر التركي إلى المياه السورية لفض النزاع القائم بين فخر الدين أمير لبنان ويوسف سيفا صاحب طرابلس في يوليو سنة ١٦١٩ ، أرسل الأمير فخر الدين رسالة إلى الباشا التركي يعتذر فيها عن الحضور إليه بنفسه[١] . ويقول الأب قرالي أن الأستاذ اسكندر الملوف قد أورد ترجمة هذه الرسالة باللغة العربية في كتابه عن الأمير فخر الدين . والأستاذ الملوف يعتبر أن هذه الرسالة قد صدرت عن فخر الدين ولكنه يتشكك في تاريخ إصدارها ولا يمكنه أن يحدد ذلك[٢] ويذكر الأستاذ الملوف أنه قد نقلها عن ريكو[٣] .

(*) يعبر الأستاذ فلنج عن هذه الرحلة من النقد بكلمة Localization ص ٦١ ، ولم أجد كلمة عربية واحدة تفيد هذا المعنى . فلعل بعض القارئين يجدنا بها هنده .

(١) Carali, P. : Fakhr ad Din II Principe del Libano e la Corte di Toscana (1605—1635). Roma, Roma, 1936. p. 99.

(٢) عيسى اسكندر الملوف : تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني . جونية ، لبنان ، ١٩٣٤ . ص ٣٨٥ .

(٣) Knolles & Rycaut : The Turkish History from the Original of that Nation to the GroWth of the Otfoman Empire. 3 vols. London, 1687. v. I. p. 693.

والواقع أن هذه الرسالة ليست لفخر الدين . وللمؤلفان كنوللس وريكو قد أخذا معلوماتهما عن هذه الفترة عن كتاب مينادوى الرحالة الإيطالى المعاصر الذى زار سوريا ولبنان أثناء حملة إبرهيم باشا لإخضاع الدروز فى ١٥٨٥ . ومينادوى يورد نص هذه الرسالة باللغة الإيطالية ، ويقول إن ابن معن قد أرسلها إلى إبرهيم باشا فى يوليو ١٥٨٥ . ولقد نقل كنوللس هذه الرسالة عن مينادوى إلى اللغة الإنجليزية . ولا يحدد مينادوى ولا كنوللس (وريكو) من هو المقصود بابن معن . على أنه لا يمكن أن يقصد بابن معن فى ذلك المقام الأمير فخر الدين ، لأنه كان إذ ذاك غلاماً صغيراً ؛ والمقصود بابن معن ، هو قرقماز بن معن والد فخر الدين ، وليس فخر الدين نفسه . والذى حاول إبرهيم باشا أن يحمله للقدوم عليه للغدر به . وبالبديهة لا يمكن أن تكون هذه الرسالة قد صدرت عن الأمير فخر الدين إلى الباشا التركى فى ١٦١٩ ، لأن كتاب مينادوى الذى يتضمن أقدم نص معروف عن هذه الرسالة قد طبع فى البندقية فى ١٥٩٤[1]

ومن الأمثلة التى توضح طريقة إثبات شخصية كاتب الأصل التاريخى أن الباحث فى التاريخ قد يجد خطاباً باللغة الإيطالية مدوناً فى باريس بتاريخ ٢٩ يونيو ١٧٨٩ وموجهاً إلى حكومة على رأسها مجلس شيوخ ، ولكن بدون تحديد تلك الحكومة وبدون تعيين الكاتب . وفحص هذا الكتاب يدل على أن كاتبه هو أحد السفراء الإيطاليين فى فرنسا . فمن هو ذلك السفير ؟ وإلى أية حكومة أرسل خطابه ؟ الحكومة الإيطالية الوحيدة التى كان على رأسها مجلس شيوخ فى ١٧٨٩ هى جمورية البندقية . فالخطاب إذاً قد كتبه سفير البندقية فى فرنسا إلى حكومته . فمن هو ؟ البحث فى سجلات أرشيف البندقية يدل على أن سفير البندقية فى باريس فى ذلك العهد كان أنتونيو كابللو[2]

وقد يحتوى الأصل التاريخى على معلومات عن حوادث رآها شاهد العيان بنفسه أو على معلومات سمع بها ونقلها عن الغير . فينبغى أن يحدد الباحث على وجه الدقة أجزاء الأصل التى دونها الكاتب بناء على ما شهده بنفسه ، وتعتبر إذاً أصلاً من الطبقة الأولى ، وكذلك يحدد أجزاء الأصل التى اعتمد الكاتب فى تسجيلها على الغير ، وتعتبر أصلاً من الطبقة الثانية ، مع تحديد مصدر هذا النوع الأخير من المعلومات إذا أمكن ذلك . ومن الأمثلة التى توضح ذلك ما ذكره (كاميل ديمولان) فى بعض ما كتبه عن المشادة التى حدثت بين مندوب الملك لويس السادس عشر وبين ميرابو أثناء اجتماع مجلس طبقات الأمة فى ٢٣ يونيو سنة ١٧٨٩ . والباحث يعرف من التاريخ أن ذلك الاجتماع لم يكن حضوره مباحاً للجمهور ، وكاميل ديمولان لم يكن عضواً فى مجلس طبقات الأمة ؛ وعلى ذلك فإن ديمولان لم يسمع بنفسه ما قاله ميرابو لمندوب الملك . فكلامه عن هذه المشادة أخذه عن طريق السماع ، فيعتبر أصلاً من الطبقة الثانية . إنما وصف ديمولان لما شهده خارج مكان الاجتماع من قدوم الملك أو احتشاد الجماهير يعتبر أصلاً من الطبقة الأولى[1]

وفى بعض الأحوال يجد الباحث كتاباً طبع فى باريس فى ١٨٩٠ مثلاً . ومن المحتمل أن يكون مؤلفه قد نقله بنصه عن مؤلف سابق وضعه فى ١٨٥٠ بدون أن يشير إلى ذلك . فالمسؤول عن المعلومات الواردة هو الكاتب الأول السابق . وصحيح أن السطو على كتابة الغير والنقل منها بغير حساب قد نقص الآن ، وعدمه القانون أحياناً ؛ ولكن كثيراً ما يجد الباحث أن من الأصول والوثائق ما هى إلا عبارة عن نقل حرفى لأصول ووثائق سابقة ، سواء قصد الناقل السرقة وانتحال المعلومات لنفسه أو جهلها لأنها تهمه وتفيده[2] . فعلى الباحث فى التاريخ أن يتعقب الكاتب الأصلى ؛ وإنه لمن أهم المسائل فى هذه الناحية من النقد معرفة المصادر أو الوثائق التى أخذ عنها ذلك الأصل التاريخى . ومن الأمثلة على ذلك أن الباحث قد يعثر على مجموعة من الكتابات عن المصادمات البحرية بين العثمانيين والنمسكان فى القرنين السادس عشر والسابع عشر جمعها أحد المهتمين بإبراز بطولة النمسكان وهو بَسْتيانو بالبياني ، ولكن بدون تحديد المصادر التى أخذ عنها[3] . والبحث فى سجلات

(١) Minadoi, G. : Historia della Guerra fra Turchi e Persiani. Venetia, 1594. pp. 279—281

(٢) Fling : op. cit. pp. 65—66

(١) Fling : op. cit. p. 79

(٢) Langlois & Seignobos : op. cit. p. 94

(٣) Archivio di Stato di Firenze : Strozzani I. 145. Imprese delle Galer (1558-1610). Bastiano Balbiani. pp. 1-45 b.

أرشيف فلورنسا التاريخي يوضح أن بالبياني قد اقتبس مثلاً من أقوال بعض رجال الحملات البحرية التسكانية بقيادة الفارس فرنشسكو دل مونتي والأميرال أنجراي في الشرق الأدنى وفي شمال أفريقيا في ١٦٠٧[١]

وقد يجد الباحث أحياناً مجموعات من الأصول والوثائق تتناول بحث نقطة معينة، فينبغي إذاً جمعها وترتيبها وتقسيمها إلى مجموعات على حسب التقارب والاختلاف في المعلومات التي تردها، وقد يكون التقارب شديداً أو قد يوجد اختلاف بين هذه الأصول والوثائق، مثل الاقتصار والاجتزاء في مواضع، والإطالة وإعطاء تفصيلات ومسائل جديدة في مواضع أخرى. وقد توجد علاقة بين هذه الأصول التاريخية في ناحية النقل أو الاقتباس عن مصدر أساسي واحد. فعلى الباحث دراسة هذه الأوجه كلها لمعرفة الشخص أو الأشخاص الذين كتبوا في هذه النواحي المتشابهة والمختلفة لتقدير ووزن أقوال كل منهم، وسنعود إلى ذلك عند بحث ناحية أخرى من نواحي نقد الأصول التاريخية

وقد يكون الأصل التاريخي من عمل أكثر من مؤلف واحد. فالكثير من الأصول تدخل عليها إضافات وزيادات وتعليقات في مواضع مختلفة، ثم تطبع ويعتبر الأصل وما أضيف إليه كأنه من وضع كاتب واحد. إلا أنه من الممكن بدراسة هذا الأصل كشف الحقيقة؛ وإذا وجد الأصل المخطوط أصبح من السهل تمييز الأصل من الإضافات والزيادات. أما إذا ضاع الأصل المخطوط ولم يبق أمام الباحث إلا المطبوع أصبحت المسألة أكثر صعوبة. إلا أنه يمكن بالدراسة الوصول إلى نتائج معقولة. فيدرس الباحث اللغة: هل هي واحدة أم متغيرة، والأسلوب هل هو واحد أم متغير، وهل تسود الكتاب فكرة واحدة وروح واحدة، وألا توجد خلافات ومتناقضات وفجوات في تسلسل الأفكار؟ وإذا كان الكاتب الذي أضاف في موضع أو أكثر من النص الأصلي واضح الشخصية أمكن تمييزه، وإلا بقي مجهولاً لدى الباحث في التاريخ[٢]

ولنعرض لمثال حققه الدكتور أسد رستم؛ فإنه قد عثر على مخطوطة صغيرة تتناول أخبار الدولة المصرية العلوية في سورية في زمن ابراهيم باشا، وكانت غفلاً من اسم المؤلف. ووجد الدكتور رستم أنها ليست تاريخاً واحداً، وإنما هي ثلاثة تواريخ فقسمها إلى (ا. ب. ج)؛ ولاحظ أن هذه الأقسام لا تتعلق حوادث متسلسلة، ولا يبدأ قسم منها حيث ينتهي سابقه، وأن الحوادث تتكرر في أقسامها الثلاثة، ولاحظ أيضاً أن (ا، ج) يستعملان التاريخ الهجري، بينما (ب) يتخذ التاريخ المسيحي، ووجد أن (ج) أكبر الأقسام، وأن أخباره تتعلق بحوادث لبنان مع إعطاء تفصيلات شخصية درزية محلية عن دير القمر وبيت الدين. فرجح الدكتور رستم أن كاتب (ج) شخص لبناني درزي، أو أقام بدير القمر على الأقل. فقصد الدكتور رستم إلى المكتبة البطريركية في بكركي، وفحص أوراق ١٨٣١ — ١٨٤١، وبعد الدراسة الطويلة عثر على رسائل مكتوبة بنفس الخط الموجود في (ج)، وبنفس اللغة والفحة، وعليها إمضاء القس أنطون الحلبي. فاتجه الدكتور رستم إلى بطريرك الموارنة مارى الياس حويك، وعرف منه أن القس أنطون كان من المقربين للأمير بشير الشهابي، وأنه سكن بيت الدين، وأنه كتب عن أحكام الأمير بشير، وعن حروب ابراهيم باشا في سورية، وأن أغلب ما كتبه قد أحرق أثناء حوادث الصدام بين المسيحيين والدروز في ١٨٤٥. وإذاً، فالقس أنطون الحلبي هو مؤلف المخطوطة (ج)[٣]

وليس يكفي أن نعرف اسم المؤلف فقط إذا كان مجهولاً؛ والغرض من معرفة الاسم هو معرفة شخصية وصفات الكاتب — لأن ذلك سيكون له قسط كبير في تقدير قيمة المعلومات التي ترد في الأصل أو المصدر التاريخي. فلا بد من أن يجمع الباحث كل المعلومات الممكنة عن شخصية كاتب الأصل التاريخي. وأحياناً يمكن للباحث أن يجمع معلومات عن شخصية المؤلف من بعض كتب التراجم؛ أو يجمع معلوماته عن الكاتب من الأصل التاريخي الذي دوّنه. فمثلاً الكتابة المؤرخة في ٢٤ يونيو

(١) Archivio di Stato di Firenze : Mediceo. 2077. pp. 747—749 b. & 751—758 b.

(٢) Langlois & Seignobos : op. cit. p. 93

(٣) أسد رستم : مصطلح التاريخ. ص ٣٤ — ٤٢

١٧٨٩ عن بعض حوادث الثورة الفرنسية فى باريس وفرساى يفهم الباحث من لغتها وأسلوبها وطريقة عرضها ومعلوماتها أن كاتبها شخص مثقف ، وأنه شاب قوى الجسم يمكنه أن ينتقل من باريس إلى فرساى أثناء المطر المنهمر ؛ ويدرك الباحث أنه شخص متحمس جرىء ثورى ، يتكلم بصراحة ويقرر أن ممثلى الشعب لا يخافون الموت ، ويعلم الباحث أيضاً أن الكاتب كان مهتماً بالحوادث التى شهدها لدقة وصفها وحسن التعبير عنها . ولا ريب فإن هذه الأوصاف تنطبق على « كاميل ديمولان » الذى كتب عن تلك الحوادث[1]

والمسألة التالية فى هذه الناحية من النقد هى معرفة زمن تدوين ذلك الأصل التاريخى . فالأصل أو الوثيقة قد تكون صحيحة ، وكاتبها قد يكون من الأشخاص الذين يتحرون الصدق والبعد عن الهوى ، ومع ذلك فقد ينقص من قيمتها بعد الزمن بين وقوع الحادث ورؤيته وبين تدوين أخباره . فالذاكرة تخون الإنسان ، ويفوت الكاتب حوادث وتفاصيل خاصة كلما بعد به العهد عن زمن وقوع الحادث مهما كانت رغبته فى قول الصدق ومهما حاول استرجاع وقائع الزمن الماضى . فإذا كان الكاتب لم يحدد تاريخ تدوين الأصل التاريخى ، فكيف يستطيع الباحث أن يحدد ذلك ولو بالتقريب ؟ فى بعض الأحيان يمكن بدراسة المحتويات وضع حدين لمبدأ ونهاية الأصل ؛ أى إنه يعين التاريخ الذى لا يمكن أن تكون الحوادث قد وقعت قبله ، والتاريخ الذى لا يمكن أن تكون هذه الحوادث قد وقعت بعده . ولتحديد ذلك ينبغى أن يكون الباحث صاحب ثقافة تاريخية واسعة تتعلق بالعصر الذى يدرسه . ولا بد أن تكون الوثيقة أو الأصل قد دون بعد آخر حادث ورد به ؛ ولكن من الجائز أن يكون التدوين قد حدث بعد ذلك بزمن قصير أو طويل . وإذا فرضنا أن كتاب سفير البندقية فى باريس لم يكن مؤرخاً ، فإنه يمكن معرفة تاريخ كتابته بدراسة محتوياته . فالحوادث التى ذكرها السفير هى حوادث يونيو ١٧٨٩ ؛ وآخر حادث ذكره هو اجتماع مجلس طبقات الأمة فى ٢٧ يونيو ١٧٨٩ ؛ وعلى ذلك فلا بد أن السفير قد دوّن كتابه بعد ذلك الحادث مباشرة وقبل أن يقع حادث آخر مهم . والمجلس اجتمع بعد ذلك فى ٣٠ يونيو ؛ فيكون السفير إذاً قد كتب خطابه إلى مجلس شيوخ البندقية فى ٢٨ أو ٢٩ يونيو ١٧٨٩[2]

ثم يواجه الباحث فى التاريخ مسألة أخرى هى مسألة تعيين مكان تدوين الأصل التاريخى ؛ وهى مرتبطة كل الارتباط بما سبق . وسواء كان النص الموجود أمام الباحث أصلاً تاريخياً من الطبقة الأولى أو أصلاً تاريخياً من الطبقة الثانية فلا بد من معرفة مكان تدوينه . فهل دون شاهد العيان الحوادث فى مكان وقوعها أو فى مكان بعيد عنه ؟ أو هل أخذ معلوماته عن أشخاص شهدوا الحوادث بأنفسهم ، وأين كان ذلك ؟ وهل كان التدوين فى مكان وظروف تجعل كاتب الأصل التاريخى قادراً على تصوير الوقائع تصويراً صحيحاً ، أم أن التدوين قد حدث فى مكان بعيد واعتمد الكاتب على الذاكرة والخيال فى سرد الوقائع ؟ المعلومات التاريخية التى ترد فى الأصل قد تحدد مكان التدوين فى بعض الأحيان . أو قد يمكن معرفة ذلك فى المعلومات العامة عن الكاتب . فمثلاً بابى كتب مذكراته فى ربيع ١٧٩٢ . ونعرف من التاريخ أن بابى كان فى ذلك الوقت مقيماً فى نانت . وإذاً فهو قد كتب مذكراته فى نانت وليس فى باريس مسرح الحوادث التى كتب عنها[3]

(يتلى)

عيسى عثمان

(١) Fling : op. cit. pp. 67—69.

(١) Fling : op. cit. pp. 72—73

(٢) « « p. 76

إعلان فقد ختم

حامد جادو من كفر دميرة القديم بمركز طلخا غربية يعلن أن ختمه فقد منه وجدد بدله ، وهو خالى الديون ، وكل معاملة تظهر به تكون لاغية ويعاقب حاملها

ثورة على ابن سينا
أو عقلية «الأركانا»

للدكتور جواد علي

لقد كان صاحب هذه الثورة ومؤجج نارها طبيب سويسري وفيلسوف أوربي عاش في مدينة « باذل » Basel عاصمة العلم في المقاطعات السويسرية الألمانية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للميلاد[١] . طبيب كانت له نفس تواقة على التنقل من مدينة أوربية إلى مدينة أوربية أخرى ، ومن جامعة أوربية إلى جامعة أوربية أخرى في سبيل طلب العلم والحقيقة ؛ في سبيل إدراك كنه الإنسان وسر هذا الكون وعظمته

ولكنه كان حيث هبط في أرض أو حل في مدينة يجد الكتب اللاتينية المعيبة المترجمة عن العربية أو عن اليونانية تحتل المكان الأسمى في عالم علم ذلك الزمان ؛ ويجد الأطباء والعلماء يتجادلون في أبحاثهم وفق القواعد المنطقية المترجمة عن العربية أو اليونانية رأساً . يدونون آراءهم في الكون والإنسان وفق ماجاء في كتب ابن سينا ولاسيما كتاب « القانون في الطب » وكتب أرسطو وجالينوس . لم يكونوا يحكمون عقولهم ، أو يستخدمون التجارب في أبحاثهم ، أو يجيلون النظر في الأفق البعيد . وهذا ما ساءه جداً ودفعه إلى إعلان عصيانه وتمرده على كتب العرب واليونان معاً[٢]

وقد عرف ذلك الطبيب الفيلسوف باسم الطبيب المتنقل «بارسلس» ؛ أما اسمه الحقيقي فكان يتركب في الواقع من بضعة أسماء ضمت بعضها إلى بعض على عادة ذلك الوقت كان يدعى أوروبلس ثيوفراستس بارسلس بومباستس فون هوهنسهايم (Aureolus Theophrastus Paracel Sus Bombastus Von Hohens Heim).[١]

دعي بالطبيب المتنقل لأنه كان مشغوفاً بالأسفار محباً للتنقل من محل إلى محل ومن مكان إلى مكان . ولقد كون فيه هذا الميل عقلاً يختلف جداً في طراز تفكيره وأسلوب اشتغاله عن طراز تفكير واشتغال عقول علماء ذلك الوقت . جمّع في أنسجته وخلاياه خلاصة الثقافات الأوربية المختلفة والنزعات الثورية التي بثتها النهضة الأوربية على القديم البالي ، وخلاصة النزعات العملية التي بثتها التجارب العلمية التي بدأ يقوم بها علماء الطب والطبيعة في ذلك الحين . فشك في مقدرة كتب ابن سينا الطبية والفلسفية ، وتزلزل إيمانه بمقدرة كتب أرسطو أو أبقراط أو جالينوس على إنعاش حياة الإنسان من الناحيتين الروحية والمادية . ونادى في المجتمعات العلمية وعلى رؤوس الأشهاد أن عصر ابن سينا واليونان يجب أن يزول ، وأن أياماً جديدة يجب أن تحل محل تلك الأيام[٢]

كانت فلسفة ابن سينا فلسفة هادئة ؛ وكذلك كانت فلسفة حكماء اليونان لم يكن فيها ما يبعث على المجازفات والمغامرات والبحث عن الأسرار ومجاهل الأرض . بينما كانت أوربا تتمخض عن حركة جديدة ، هي حركة تسخير العلم في خدمة الإنسان والاستفادة من الطبيعة في سبيل رفاهية ابن آدم . كانت كلمة « الأركانا » Arkana[٣] من أبرز الكلمات وأحلاها في قاموس علم ذلك الزمان . وكلمة أركانا تدل على معان جمة عميقة تدل على المادة السرية التي يمكن بواسطتها تحويل أي معدن خسيس إلى معدن ثمين[٤] . ولا يستغرب صدور هذا الميل المادي

---

(١) ولد في سنة ١٤٩٣ وتوفي في سنة ١٥٤١ م ، راجع عنه كتاب سيدهوف وعنوانه K. Sudhoff Thophrastus ParaceLsus Sein Lepen und Seine Persönlichkeit 1903. وكذلك كتابه الموضوع في نقد حياة بارسلس وقد طبعه في مجلدين بين سنة ١٨٩٤ — ١٨٩٨ والكتب التي ألفها كل من F. Strunm في عام ١٩٠٢ و F. Gundolf في مجلدين في عام ١٩٢٨ و F. Peukert في عام ١٩٢٨ م أيضاً

(٢) راجع كتاب Ceschichte der Philoso الفيلسوف الشهير كارل فورلينذر K. Vorländer ص ٢١٠

(١) راجع كتب التراجم المذكورة وكتاب Scherr وعنوانه : Deutsche Kultur Und Sittengeschichte ص ٣٦٠ وكذلك كتاب « قواعد تاريخ الفلسفة » الفيلسوف الشهير وندلبند Windelband ص ٣٠٩ ، ٣١٢

(٢) راجع كتاب ألفريد روزنبرك وعنوانه Der. Mythus ص ٢٠١

(٣) وهي كلمة لاتينية معناها المقصود المادة السرية ، وتدل على نفس مدلول « حجر الفلاسفة » في اللغة العربية

(٤) راجع Scherr Deutsche Kultur s, 360

الجشع من إنسان ذلك الوقت . فقد قلب القرن الخامس عشر العالم رأساً على عقب . كدّس الذهب والفضة فى بلاط ملوك البرتغال والأسبان ، وحرم الشعوب الأوربية الأخرى من مصادر القوت والثروة . ووجد حملة سر « الأركانا » فى قصور الأمراء وملوك أوربا مرتزقاً حسناً جداً . كانوا يجوبون عواصم أوربا ليعرضوا على سادتها آخر ما وصل إليه علمهم عن هذه الكلمة السحرية مشوقة الأغنياء . وكان أبرعهم وأشهرهم Georg Honauer . الذى تمكن بواسطة بضاعته فى علم (السيمياء[1]) وطلاقة لسانه ، من السيطرة على عقل الأمير (فردريك) أمير ورتمبرك فى عام ١٥٩٧ م ومن ابتزاز أموال الأمير بلا حساب ، لتحويل النحاس إلى المعدن الثمين الذهب . وقد سطر لنا عصر بارسلس عشرات وعشرات أمثال هذا العالم السيميائى الشاطر[2]

كانت « الأركانا » رمز عقلية الجيل الجديد ، ذلك الجيل الذى سخر من عقلية من تقدمه ، لأنها فى نظره عقلية قديمة آسنة ذات تفكير قديم . كانت تؤمن بالخرافات وبزخارف القول وما جاء فى الأساطير . وما الأركانا فى نظره سوى ثورة جديدة على العصور القديمة وعلى ما أنتجته تلك العصور

ولكن الجديد فى عقلية الأركانا حقاً هو ثورة الفرد على الطبيعة وثورة الإنسان النشيط على الإنسان المتزن الهادئ ، ثورة الجرمانية على العربية واللاتينية[3]

ولكى يبرهن ذلك الإنسان الجديد على أنه إنسان جديد فى كل شىء . إنسان عملى حر فى إرادته وتفكيره فرّق بين علوم الأوائل وعلوم الأواخر ، بين علوم الأجيال التى سبقت القرن الخامس عشر وبين علوم الأجيال التى ظهرت بعد هذا القرن . سمى علم السحر القديم مثلاً « علم السحر الأسود »[4] ، فميزه عن علم السحر الجديد الذى ابتدعه وسماه « علم السحر الأبيض »[1] . وعلم السحر الأبيض فى نظر إنسان ذلك الوقت علم جديد عملى مجرد عن الأباطيل والخرافات ؛ وقد ضن هذا الإنسان على القدماء حتى فى مصدر العلم فقال : إن مصدر علمه السماء ، أما مصدر علم القدماء فكانت الأرض[2]

وما دام مصدر السحر الأبيض السماء ، فلم لا تكون للأجرام السماوية ذاتها يد فى مقدرات الإنسان ؟ آمن إنسان الأركانا بفعل البروج والأفلاك فى مستقبل الإنسان ، ولكنه لم يؤمن كما آمن الأولون . نعم آمن بقدرة البروج والأفلاك ، وأيقن بأهمية علم التنجيم ليتمكن بواسطة أسرار هذا العلم من معاكسة تأثيرات ما فى السماء ، وليسخر قوى البروج الخفية فى صالح الإنسان . أما الإنسان الأول ، فقد آمن بها إيمان رجل مستسلم للمشيئة والأقدار يرجو رضا القوى الخفية لتجلب إليه السعادة والرفاهية

رأينا تأثير السماء على الإنسان ، فلم لا يكون للأرض نفس هذا التأثير على الإنسان ؟ نعم ، للأرض إذاً أثر هام على سكان الأرض ، وللانسان إذاً أن يبتدع علماً يقاوم تأثير هذه الأرض[3] ، بل للأرض نفس الأثر ، حتى على ما فى بطون الأرض ، فإذا ما تمكن الإنسان من اكتشاف سر هذا الأثر ، تمكن من إيجاد العلاج الناجع لمقاومة تأثير الأرض . وقد بحث الإنسان عن المادة السرية التى يمكن بواسطتها تحويل المعادن الخسيسة إلى معدن نفيس ، وتلك المادة المطلوبة السرية هى حجر الحكماء أو الفلاسفة كما كانوا يطلقون عليها فى القرن الخامس عشر للميلاد Steru der Weisen[4] تؤثر على حياة الإنسان بمجموعة قوى أخرى على رأسها « روح الإله العالمية » Gottliche Weltseelle[5] التى تخللت جميع أجزاء هذا الكون ، وحلت فى كل شىء ، فأصبح الكون هو هو الكون ؛ وما الإنسان فى نظر بارسلس سوى « العالم الأصغر » Mikro Kosmos الذى هو صورة مصغرة « للعالم الأكبر » Marko Kosmos[6]

(١) ليتميز هذا العلم عن علم الكيمياء

(٢) راجع كتاب الدكتور كبور D. Gebauer وعنوانه Deutsche Kulturgeschichte ص ٨١

(٣) راجع Der Mythus ص ٢٥١

(٤) راجع Du Prel Die Magie 1912, Schmidt Phi. wort. s, 386 و Levi, Gesch der M. 2 Bde 1926

(١) راجع Dr. Gebauer Deut Kultur s, 81 والمراجع السابقة

(٢) راجع Walter Schönfelder Phile im Überblick 1928 s, 21

(٣) Othmar Spann Philo Spiegel s, 275 271

(٤) Dr. Gebauer s, 81

(٥) نفس المصدر ص ٨١

(٦) Aster Gesch der Philo s, 175

وقد أسبغ صاحبنا على نظريته هذه ثوباً من أثواب الحلولية التي ترد في الصوفية الإسلامية أيضاً [١] وقد كان لها صدى بعيد في أنحاء أوربا ، أثرت على أفكار فلاسفة الطليان والألمان والإنكليز وغيرهم أمثال كيور دانو Ciordano [٢] وكامبنيلا Campenella [٣] وتيليزيو Telesio [٤] وروينشلين Reuchlin [٥] وبرونو ميلنشوتن Bruno Melanchton [٦] وأكريبا فون نيتيسهايم Agrippa von Nettesheim [٧] وهرمان لوتسه الفيلسوف الألماني الشهير (١٨١٧ — ١٨٨١ م) في القرن التاسع عشر للميلاد [٨] قال بارسلس وفي العالم الأصغر وهو الإنسان قوى بنائية روحية تقاوم الأرواح الخبيثة التي تكون في الخارج وتساعد على بناء الجسم ودوام اتصاله بالعالم الأكبر ، وما العالمين سوى وحدة واحدة لا تتجزأ لذلك ، فأنا العالم والعالم أنا [٩] وقد سمى هذه المادة Archeus من كلمة Arche اليونانية ومعناها المادة الأساسية أو الأساس . وكان الفيلسوف اليوناني أناكسمندر قد استعملها لتدل على هذا المعنى [١٠] والعلم الذي يبحث عن هذه المادة هو أشرف العلوم ؛ وحيث أن الطب هو العلم الباحث عنها ، لذلك كان علم الطب هو أشرف العلوم طراً وقد شرفه حتى على علم اللاهوت [١١]

(١) راجع كتب الأستاذ ماسنيون من الحلاج و Max. Horten في كتابه عن الفلسفة الاسلامية ، وكذلك بور وغيرهم

(٢) فيلسوف إيطالي حر التفكير كان من المعارضين للكنيسة (١٥٤٨ — ١٦٠٠) . راجع Kuhlenbeck 1913 و Riehl 1900 وشميد ص ٨٩

(٣) فيلسوف إيطالي ولد في عام ١٥٦٨ وتوفي في عام ١٦٣٩ راجع كتابه « مملكة الشمس » وقد طبع عام ١٩٠٠ م

(٤) فيلسوف إيطالي كذلك من الفلاسفة التجريبيين ، ولد عام ١٥٠٨ وتوفي عام ١٥٨٨

(٥) من الالمانيين وقد حكم عليه بالهرطقة (١٤٥٥ — ١٥٢٢) راجع Geiger 1871

(٦) فيلسوف تأثر بالمبادئ النيوسوفية الشائعة في ذلك العهد

(٧) طبيب وفيلسوف ، وكان من المعتقدين بالسحر ، وكان يسخر من علوم زمانه (١٤٨٦ — ١٥٣٥) وقد ترجمت كتبه إلى الألمانية

(٨) (١٨١٧ — ١٨٨١) فيلسوف وعالم فسيولوجي ؛ راجع كتبه

(٩) وهي فكرة الحلولية . راجع Arthur Eloesser وعنوان كتابه (تاريخ الأدب الألماني) ص ٣٤ ، ٣٥ ج ١

(١٠) راجع Schmidt Philo s, 39

(١١) K. Vorländer s, 210

ومن واجب الطبيب تنظيف هذه المادة مما قد يتعلق بها من الأرواح الخبيثة وذلك بواسطة العقاقير والأدوية المفيدة . وقد حضر الطبيب الفيلسوف قائمة بأسماء العقاقير والمشروبات المعدنية والأدوية السرية التي تنفع لمقاومة الأمراض النفسية والجسمية معاً . وما الأمراض في نظره سوى صراع بين الـ Archeus وبين الأرواح الخبيثة والقوى الخارجية المحيطة بالإنسان [١] . وبقدرة هذه العقاقير والمواد السحرية يستطيع الطبيب الذي هو أقرب مخلوق إلى الله من تنظيف الروح والجسد من الأدران ومن رفع مستوى البشرية إلى مصاف الأرواح السماوية العليا ، وبذلك يتم الاتصال بين « العقل الأول » أو « الروح » وبين العقل الثاني وهو الإنسان . ولذلك كانت لهذه الفلسفة شهرة عظيمة بين رجال المتصوفة من الأوربيين ولا سيما الألمان منهم ، فظهر حلاجهم وهو يعقوب بوك Jakob Boehme [٢] ؛ وظهر فالنتين وأيكل Valentin Weigel وظهر أمثال لهذين المتصوفين ينادون بالفناء والاتحادية [٣]

وبعد أن أتم بارسلس وضع قائمة عقاقيره السحرية أججّ في ليلة عيد الغفران من عام ١٥١٧ ناراً عظيمة في حفل رهيب وتقدم في موكب يتبعه تلاميذه والمعجبون بآرائه يحمل بيديه « إنجيل الاطباء » وهو كتاب « القانون في الطب » لابن سينا « لوثر الأطباء » كما كانت أوربا تسميه Luther der Arzte ؛ وبعد خطبة وحفلة دينية مؤثرة ندد فيها بآراء ابن سينا وزعماء الطب من العرب واليونان ، ألقى بكتاب القانون في النار معلناً بذلك دخول أوربا في عصر تفكيري جديد . ولكنه قوبل من الناس بازدراء عظيم واضطرت بلدية الدينة إلى إخراجه من مدينة « باذل » لتجاسره على كرامة أعظم طبيب عرفته العصور [٤] —

اجتمعت في بارسلس سذاجة القدماء وتفكير المحدثين . كان

(١) نفس المصدر

(٢) كان من أشهر متصوفة الألمان وهو حاول يفرق بين ظاهر الشريعة وبين الحقيقة على مثال متصوفة المسلمين . راجع كتاب فولينذر ص ٢١٩ ولد عام ١٥٧٥ وتوفي عام ١٦٢٤ للميلاد

(٣) ولد هذا المتصوف عام ١٥٢٣ وتوفي عام ١٥٨٨ . راجع فورليندر ص ٢١٨

(٤) تجد القصة مفصلة في تراجم حياة بارسلس ومختصرة في كتاب الفيلسوف Vorländer ص ٣١٠

٢ ـ الصحافة والدولة

تأليف الصحفي العالمي ويكرهام ستيد

للأستاذ زين العابدين جمعة

المحامي

أما بالإضافة إلى إيطاليا فمجرد النظر في « الكتاب السنوي للصحافة الإيطالية » وفي صفحاته التي تربى على الألف صفحة كاف لأن تتكشف منه الحقيقة عن أمر تلك العبودية التي انتظمت الصحافة الفاشية فأمست خاضعة لها. ولقد كانت كبريات الصحف الإيطالية مثل صحيفة « الكوريير دلاسيرا » التي تصدر من ميلان وصحيفة « الاستمبا » التي تطبع في تورين — وحسبنا منها هاتان الصحيفتان — تنافس أعظم الصحف في أوربا وتناهضها قبل أن تبتدع الفاشية نظاماً. بينما كان الصحفيون الإيطاليون ينعمون في كتاباتهم بنصيب من الأدبية وبراعة الأسلوب ورقة العبارة لا يطاولهم فيه أحد

ولقد انتهى أمرهم اليوم إلى أن نظموا في سلك « النقابات » والجمعيات الرسمية وأمسوا وهم لا يستطيعون أن يؤدوا عملهم ما لم تدون أسماؤهم في سجل المهنة، ليكون ذلك شاهداً على استقامة رأيهم وسلامة عقيدتهم في النظام الفاشي. ولقد حددت مركزهم تلك الأوامر (الملكية) المعقدة تعقيداً لا حد له، وصيرتهم موظفين مؤتمرين بأوامر تلك الفئة الوحيدة التي تحكم الدولة. ولقد تلقى الصحفيون الإيطاليون درساً قاسياً عرفوا منه ما ينتهي إليه التمرد على الفاشية من مصير وخيم. فلقد رأوا أنهل

زمانه زمان انتقال فطبعه بطابعه الخاص. وجد المحدثون في زماننا فيه رمزاً من رموز التفكير العنيف والانسانية الفعالة. وعلى الأخص الكتاب الأوربيون منهم. وجد فيه ألفريد دوزنبرك رجلاً أوربياً أعلن حرب الجرمانية على السامية واللاتينية؛ لذلك أسست جمعية أطلقت على نفسها اسم جمعية بارسلس قامت بنشر رسائله ومؤلفاته لأبناء القرن العشرين[1]

ميراد علي

(١) راجع Schmidt s, 471 وكتاب Der mythuo s, 251

الناس نفساً وأوفرهم استقامة بين ظهرانيهم يضربون بتلك الهراوة الفاشية ضرباً مبرحاً، وقد يكون مميتاً — كما كان من أمر (جيوفاني أمندولا) — أو يحكم عليهم بعدد طويلة في الأشغال الشاقة، أو يرسلون إلى معسكرات ضاقت بمن سيقوا إليها أو زجوا فيها، أو يوضعون تحت مراقبة البوليس في الحالات الأخف وزناً وفي المخالفات الأقل خطورة وحتى أولئك الذين أمكنهم أن يهربوا من إيطاليا كالمرحوم (كارلو روزلي) قد أدركوا أنهم لم يكونوا بمنجى من أن تصل إليهم أيدي المجرمين ومدى السفاحين

لذلك نجد في الفصل الذي عنوانه: (روح الصحافة الفاشية وكيانها) — المذيل بعبارة عهد موسوليني كعنوان إضافي — من الكتاب السنوي للصحافة الإيطالية موضوعاً أقتبس منه ما يأتي:

« ووقتما ابتدعت الفاشية نظاماً للدولة، واختفت من الميدان الصحف المعارضة بعباراتها القارصة وأسلوبها اللاذع؛ ووقتما اهتدت إلى صوابها الصحف الناشئة الخارجة — تلك الصحف التي ذاعت ثقافتها العقلية التقليدية وكان لزاماً أن تحترم على الأقل ما بقيت لها ألقابها القديمة — فقد أحس الجمهور لوقت ما بشعور من الحيرة والارتباك ليس من الأمانة أن ينكر. إذا كان مما يتواتر على ألسنة الناس قولهم: « أيسعنا أن نقرر أن الحكومة لم تعد تخطىء، وأن الدولة دائماً على صواب؟؟ — وذلك لأن الجمهور الساذج غير المثقف يختلط عليه أمر « الحكومة » و « الدولة » فيخالهما شيئين مختلفين مع أنهما اليوم وحدة لا تتجزأ لها ذاتيتها وخاصيتها. ومراعاة للأمانة والحق يجب أن نقرر أيضاً — ما دام الدوتشي نفسه قد قرره — أن طبع الصحافة بالطابع الفاشي لم يكن بالأمر القريب المنال بل كان أمراً شاقاً ومنهجاً صعباً » ثم يحدثنا الكتاب السنوي إلى ذلك قائلاً: « ولكن أيسع أحداً اليوم أن يخبرنا عما إذا كانت الصحف هي التي تكون الرأي، أو كان الرأي هو الذي يكون الصحف؟؟ » ثم يضيف إلى ذلك:

« والصحف تارة تتقدم الأسلوب الثوري وتارة أخرى تكون لاحقة له عند ما يجري قلب أوضاع المجتمع في سبيل المدنية الحديثة انقلاباً جوهرياً، تلك المدنية التي جددت أسلوب النظم العامة والخاصة ووظيفتهما، في شعوب أوربية

عظيمة كإيطاليا وألمانيا . ففى هاتين الأمتين تجد الصحافة اليومية وقد تميزت عن سائر الصحف الأخرى فى باقى أمم الأرض تميزاً واضحاً »

فما هو هـذا الشىء الذى يميز الصحافة النازية الألمانية والفاشية الإيطالية عن غيرها من صحف العالم ؟؟ هنا يتولى « الكتاب السنوى » شرح هذا الفارق المميز فيقول :

« إن الفاشية التى كانت النتاج المبكر بين حركات التجديد فى أوربا كانت حرباً صليبية كبرى لتحرير الروح الإيطالى ... فهل كانت رجعة إلى الفطرة الأولى ؟؟ نعم ، ولكنها فى الواقع مفتتح ثورة فعالة من شأنها أن تعيد إلى الشعب فى غداة ثورة تاريخية عظمى نوعاً من العيش الغض والحياة المبكر » . ثم يقول « الكتاب الثانوى » أيضاً :

إن الصحافة الفاشية قد بعثت شباب إيطاليا بعثاً جديداً ووضعت أمام عينيه ـ وقد أجادت الاختيار واحترزت من أمره ـ حقائق لها قيمتها التاريخية لا مجرد أخبار مشوشة مضطربة . وما يرحنا على حال لا يضايقها أن نقرر أن الصحافة قد أتمت رسالتها تحت لواء النظام الفاشى ، ذلك النظام الذى وضع الصحافة فى الصف الأول ومنحها قيادة نبيلة ؛ الأمر الذى أصبح معه خضوع الصحف « لرأى الدولة » وهو من نوع استسلام الجندى المخلص لا من نوع تلك العبودية المفروضة على تابع أحمق إليه . و « رأى الدولة » هنا قد ورد ذكره وعرف فى المجلد الثامن من كتاب « كتابات وأقوال بنتو موسولينى » إذ جاء به : « إن رأس الحكمة الفاشية هو إدراك معنى « الدولة » ومعرفة جوهرها وفهم أعمالها والإلمام بأغراضها ومراميها . فإذا كان من مقتضيات الفاشـية أن تكون الدولة مطلقة التصرف فذلك من جهة تلك الصلات التى تربط الأفراد والجماعات بالدولة وتربط الدولة بهم . ولا يباح للأفراد والجماعات الحق فى التفكير وتكوين الرأى إلا إلى الحد الذى لا يتعدى نطاق ما اختطته الدولة . والحكومة الحرة لا تدبر أمر أعمال المجتمع وتصرفاته ولا تنهض بتقويم نتاجه المـادى والروحى بل يقتصر أمرها على مجرد تسجيل النتائج ؛ بينما تجد الحكومة الفاشية ولها ما اختصت به من إدراكها لهذه المسائل ومن اختيارها لما تختاره منها ومن مشيئتها فيها ولهذا السبب لقبوها بالحكومة « الأدبية » ... »

* * *

انتهينا فيما تقدم — وبعبارة صريحة — من عرض المميزات والفوارق الأساسية بين وظيفة الصحافة فى الحكومة الاستبدادية ووظيفتها فى الأمم الحرة التى ما زالت حرية الأفراد فيها وهى تعد أمراً طبيعياً فى ذاته ؛ ولو كان المبدأ القائل بأنه : « فى سبيل الفاشية يجب أن تكون الحكومة حكومة مطلقة » هو مبدأ إيطالى الأصل والنزعة ، لساغ أن يتقبله العقل الإيطالى وأن يتحمل ما ينطوى عليه من أعباء الممارسة الفعلية لمسألة هى أهم مسائل النظام الاجتماعى والسياسى . ومهما كان من التناسق والتلازم فى أفكار موسولينى السياسية ، فهى مأخوذة — على وجه أو وجهين — من آراء « هيجل » الفيلسوف الألمانى الذى صيغت آراؤه عن الدولة ـ ولاسيما الدولة البروسية ـ فى قالب صعب لأكثر من عصر مضى ؛ ولم يكن ما تلقاه « فردريك انجلز » ، « كارل ماركس » من آراء « هيجل » ؛ وما أوحى به إليهما فيما انتهيا إليه من نظر عن الدولة الشيوعية بالشىء القليل ، وعن « ماركس » ، « أنجلز » تلقى « جورج سوريل » رسول النقابية[1] فى فرنسا أول ما تلقاه من مبادئ العنف النقابى كوسيلة للانقلاب السياسى والاجتماعى قبل أن يتعقبها إلى منهلها فى فلسفة « هيجل » ، وينهل من هذا النبع المسموم ؛ وعن « سوريل » تلقى « موسولينى » بدوره هذه المبادئ الضارة والنهج الوبيل

فلقد صرح « هيجل » آنئذ فى كتابه المعروف « بفلسفة التاريخ » بأن الدولة هى أسلوب فعال مطلق ، وتجسيد لفكرة (أى تجسيد الحقيقة الماثلة وراء الظواهر) . وعنده أن تلك الكائنات الحية التى تعيش تحت ظلال هذا الأسلوب من الحق المطلق ، ليس لها من الحق فى الاعتبارات المستقلة بأكثر أو بأقل مما للخلية بالإضافة إلى الهيكل البشرى ؛ وهو يقول: « إن الدولة هى أسمى فكرة وأجل وحى وأنبل خاطر ، ينمو الحياة ويعيش على وجه الأرض » ، لأن : « جماع ما للكائن الحى من قيمة وجماع ما ينعم به من الحقائق الروحية ، إنما يتهيأ له فقط ويأتيه عن طريق الدولة » ؛ يضاف إلى ذلك أن : الدولة غاية فى نفسها وشىء قائم بذاته ، وهى الغاية القصوى التى يسمو حقها الأعلى على حق الفرد الذى ينطوى أسمى وأنبل غاياته فى أن يكون فرداً فى الدولة

(١) النقابية : حركة عمالية قوامها العمل على نقل وسائل الانتاج والتوزيع من ملاكها الحاضرين لاتحاد العمال ونقاباتهم . وسبيلها إلى ذلك عادة هو الأضراب العام .

وهذه التعاليم هي من نوع التوفيق بين وجهة النظر الحرة ووجهة النظر المسيحية على حقيقتها في الحياة. إذ كلا النظرين يجعل لشخصية الإنسان قيمة عظمى. تلك الشخصية التي يعدها المذهب الحر العنصر الأولى الذي لا غنى عنه في مجتمع مكلف حر من الكائنات الإنسانية. بينما تنظر إليها العقيدة المسيحية كمستودع النفس الخالدة. والصحافة الحرة قد هيئت لأن تنهض فور الوقت بواجبها نحو الحرية الاجتماعية والسياسية إذ تكون لسانها الناطق وحارسها الأمين. إلا أن الأمر يختلف عن ذلك تحت نير تلك النظم السياسية التي تعامل الفرد كمجرد تابع خاضع في كل شيء لإرادة حكومة مطلقة تعبر عنها أوامر حاكم مستبد حيث لا تصادف الصحافة الحرة ولا الصحفيون الأحرار أي عدالة أو ضمان

ولكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحد إذ تصل إلى الأعماق من فلسفة الصحافة ذاتها. ففي الأمم الحرة ليس من شأن الصحافة، ولا يمكن أن يكون من شأنها ومن شأن ما يسمى أحياناً (بمسئولية) الصحفي، أن تكون مجرد صدى يردد ما يجري على لسان الحكومة من رأي. أو تعنى بالتزام ذلك الصمت الذي يأخذ رجال السياسة أنفسهم به، أو يجري في عقيدتهم أنه من مقتضيات المراكز التي يشغلونها. والصحف المستقلة إن أيدت الساسة في خططهم وكانت لهم سنداً في الاحتفاظ بمراكزهم فعي إنما تمنحهم هذا العون طليقة مختارة وعن عقيدة شخصية قوامها أن هؤلاء الساسة يخدمون مصالح المجتمع جهد طاقتهم

ولقد بين «روبرت لو» (اللورد شربروك فيما بعد) الفارق بين واجبات الصحافة الحرة وواجبات رجال السياسة بياناً علمياً صائباً في المقالين الافتتاحيين الخالدين اللذين حررهما لصحيفة «التيمس» في ٦، ٧ فبراير عام ١٨٥٢ وقتما كان «ديلان» ينهض برئاسة التحرير فيها

ففي شهر ديسمبر من عام ١٨٥١ قام «لويس نابليون» بحركة غير مشروعة كان من أمرها أن وثب إلى كرسي الامبراطورية في فرنسا فنصب نفسه إمبراطوراً للدولة التي كان يتولى رئاسة الجمهورية فيها. وكان من أمر اللورد «بلمرستون» الذي كان يتولى وزارة الخارجية في ذلك الوقت من وزارة «رسل» أن أقر بالنيابة عن بريطانيا العظمى هذا الأمر الواقع من غير أن يراجع زملاءه في ذلك ويبادلهم الرأي ومن غير أن يخطر الملكة به. وإذ ذاك قامت قيامة صحيفة «التيمس» وآذنته هو و «لويس نابليون» بحرب شعواء جاهدتهما بها وناهضتهما فيها. ولقد بلغ من قسوة هذا النضال العنيف وما صيغ به من عبارة قارصة وأسلوب لاذع أن «ضاق لويس نابليون به صدراً» وثارت ثائرته عليه، وأن غضب له من شايعه من الوزراء البريطانيين وحاولوا أن يفلتوا من حلاتها بتكميم فمها. إلا أنه لم يكن من أمر إقرار «بلمرستون» لذلك الإنقلاب الغير مشروع والذي كانت له اليد الطولى فيه إلا أن انتهى بعزله، إذ احتجت الملكة احتجاجاً حازماً على ما كان من خطل نهجه، وأبى عليه رئيس الوزارة قبول معاذيره أو إقراره على حججه. واختير فعلاً «لورد جرانفيل» خلفاً له ووزيراً للخارجية من وزارة رسل. وعقب ذلك بحوالي الشهرين سقطت وزارة رسل بأجمعها. وتحين الفرصة «اللورد دربي» الذي خلف «لورد جون رسل» في رئاسة الوزارة. فما أن واتته — بمناسبة ما ثار وقتئذ من نقاش وما ألقي من خطب رداً على خطاب العرش — إلا أنحى على صحيفة التيمس باللائمة وقبح منها ما كان من سفور النقد وصراحة العبارة زاعماً: «أنه إذا كان من حق الصحافة البريطانية في هذه الأيام أن تطمح لأن تقاسم الساسة سلطانهم، أفلا يحق عليها أيضاً أن تقاسمهم مسئولياتهم؟!»

ولما كان «ديلان» صحفياً مستقلاً يعرف لحرية الرأي حقها وخطرها، فقد أحس من نفسه برغبة ملحة في ألا يدع هذه النظرية تمر من غير تحقيق وتمحيص ومن غير أن يظهر وجه الصواب منها، فأوحى إلى «روبرت لو» أن يفندها، وأن يبين للناس المبادئ التي تنظم كلا الأمرين حرية الصحافة وواجبات الصحفي في المجتمع الحر. ولقد نهض «لو» بهذه الحاجة برأي حازم وبصيرة نافذة؛ وإذ أخذ في مناهضة تلك المزاعم ومناقشة هذه القضية المنطقية التي أثارها «لورد دربي» بما زعمه من أن الصحافة التي تطمح في أن تشاطر الساسة سلطانهم يكون لزاما عليها أيضاً أن تشاطرهم مسئولياتهم، كتب في عدد التيمس الصادر في اليوم السادس من شهر فبراير عام ١٨٥٢ المقال الآتي:

إذا كان الطرف الأول من هذه القضية ثابتاً مقرراً فلا جرم أن الطرف الثاني يتبعه في هذا الثبوت بداهة. ونحن من بين الناس جميعاً أقلهم ميلاً لأن نضع من شأن ما نهض به من عمل خطير أو ننكر ما يقع علينا من مسئوليات وما تنعم به من سلطان

١١ ـ المصريون المحدثون

شمائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تعليم البنات

قلما يتعلم البنات القراءة والكتابة . وكذلك لا يتعلمن الصلاة حتى بنات الطبقة الراقية . ويستخدم بعض الأغنياء « شيخة » لتزور الحريم يوميا فتعلم بناتهم وجواريهم إقامة الصلاة وتلاوة بعض سور من القرآن . وقد تعلمهن القراءة والكتابة ، إلا أن هذا ، حتى لنساء الطبقات الراقية ، شيء كمالي يندر أن يتم[1] . وهناك عدة مدارس تعلم فيها البنات الخياطة والتطريز الخ . ولكن إذا سمحت الظروف يعهد بالبنات إلى « معلمة » تعلمهن تلك الأشغال في منازلهن

(١) وقد تتلقى بنات الطبقات الوسطى علومهن مع الأولاد في مدرسة واحدة . إلا أنهن عادة يلبسن الحجاب ولا يخالطون الأولاد . وكثيراً ما شاهدت بنات حسان الخدام يقرأن القرآن في مدرسة الحسين .

نستمده من قوة الشعب وثقة الجمهور . إلا أنه لا يسعنا مهما يتهيأ لنا من أمر هذا السلطان سواء أكان عظيماً أم صغيراً ، أن نقرر أن من مقتضياته أن نشاطر رجال السياسة أعمالهم ، أو أن هذا السلطان مقيد بمثل ما يتقيد به وزراء التاج من قيود العمل والزمن . وبمثل ما يلازمهم من واجب ومسؤولية ، فكل من هذين السلطانين متميز عن الآخر تمام التميز في مقتضياته وواجباته . وهما على العموم أمران مستقلان ، وأحياناً شيئان متعارضان يسيران على خطين متوازيين فلا يتقابلان ، والصحافة تعبث بحريتها وتقيدها وتحد من نشاطها إثر تلك اللحظة التي تقبل فيها أن تشغل مركز المسود من السيد ، وأن تنزل منزلة التابع من المتبوع ؛ وهي إن عنيت بتأدية واجباتها باستقلال صحيح تام ؛ وبالتالي بما يتطلبه منها جماع المصلحة العامة ، لما وسعها أن تهادن رجال الساحة من الخاصة أو تحالفهم ، أو أن تخضع مالها من شأن خاص ونفع متواصل لما يتهيأ لأية حكومة من سلطان موقوت ونفوذ سرعان ما يزول عنها أو تزول عنه

(البقية في العدد القادم) نبيه العاملي محمد

الفصل الرابع

الحكومة[1]

قاست مصر — هذه السنوات الأخيرة — تقلبات سياسية عظيمة ، وزالت تبعيتها للباب العالي إلا قليلاً . وقد استقل حاكمها الحالي محمد علي تقريباً ، بعد أن أباد العُز أو المماليك الذين شاركوا أسلافه الحكم ؛ إلا أنه أعلن ولاءه للسلطان ، وأصبح يؤدي الخراج للأستانة كما هي العادة . ثم إنه خضع لأحكام القرآن الأساسية والسنة . وهو — خلافاً لذلك — يتمتع بسلطة لا حد لها[2] . فهو يستطيع أن يقضي على أي فرد من رعاياه بالموت دون محاكمة أو تعيين سبب . وكفاه أن يحرك يده حركة أفقية بسيطة ليتضمن ذلك حكم الإعدام . ولكن يجب ألا يفهم من كلامي أني ألمح بميله إلى سفك الدماء بلا موجب. إن من طبع هذا الوالي الصرامة الحازمة لا القسوة الشريرة . وقد دفعه طموحه المطلق إلى جميع الأعمال ، فكان يجلب لنفسه المدح تارة أو الملامة تارة أخرى[3] . ويوجد في قلعة العاصمة مجلس للقضاء يسمى (الديوان الخديوي[4]) ، يرأسه في غياب الباشا نائبه (الكخيا)[5] حبيب أفندي . ويبت رئيس الديوان الخديوي في الأمور التي تخرج عن اختصاص القاضي أو التي تكون واضحة بحيث لا تحتاج إلى الرجوع إلى القاضي أو أي مجلس آخر

(١) لما كان الاصلاح السياسي الذي أجراه محمد علي سبق أهميته العظيمة على الدوام ، ولما كانت التغييرات التي أحدثها خلفاؤه في نظمه قليلة الأهمية وعلى العموم مخالفة لكل تقدم ، فقد أبقيت هنا دون تغيير جوهري وصف حكومة مصر في سنتي ١٨٣٤ و١٨٣٥ وهما خير سني حكمه .

(٢) وإن كانت أوامر ولايته نقصت كثيراً منذ كتابة هذا إلا أن سلطته في مصر بقيت كما هي على التقريب

(٣) إن حكومة مصر منذ الفتح العربي لم تتغير كثيراً مما هي عليه الآن في تأثيرها على شمائل السكان وعاداتهم وطباعهم ، ولذلك أرى أن لا حاجة إلى عرض تاريخ الماضي لتوضيح هذا الكتاب . إلا أنه يجب الاشارة إلى أن المصريين لا يسمح لهم الآن بالاستمرار في معاملة النصارى واليهود بتلك الغلظة التعصبية الشديدة التي كانوا يعاملونهم بها قبلا . ومن هنا يدين السياح الأوربيون لمحمد علي بالشكر ويعترفون له بالجميل . وقد يزيد هذا التقيد شعور التعصب الزائد بادي الأمر ، ولكنه سيلطفه على الأرجح بمرور الزمن . ولم يتم بعد هذا التنبؤ ، وعلى النقيض من ذلك أظهر استعمال العظماء ومستخدمي الحكومة البدع الأوربية في ملبسهم وشمائلهم وعاداتهم للتزلف تعصب رجال العلم والدين وجلة الشعب عموما

(٤) « خديوي » نسبة إلى الكلمة التركية « خديف » أي الأمير

(٥) هكذا ينطق به في مصر والأصح « كياخيا » أو « كتخدا »

وقد أقيمت فى أنحاء العاصمة دور كثيرة للشرطة ، فى كل منها بلوك نظام أى فرق منظمة . ويسمى الشرطى « قلق »[1] أو « قراقول »[2]. ويقبض على من يتهم بالسرقة أو السطو الخ ويقاد إلى دار الشرطة الرئيسى فى الموسكى حيث يسكن أغلب الفرنج . وبعد أن تثبت التهمة كتابة يقاد المتهم إلى « الضابط » أى رئيس شرطة العاصمة . وبعد أن يسمع الضابط القضية يرسل المتهم للمحاكمة أمام الديوان الخدوى[3]. وعند ما ينكر المتهم الجريمة الموجهة إليه ، ولم يكن هناك دليل على الإدانة ، يجلد ليحمل على الاعتراف بجريمته . وحينئذ ، إن لم يكن قبلا ، يعترف المتهم بالجريمة إذا كانت طبيعتها لا تعرضه لعقوبة شديدة . ويعترف اللص عادة بعد هذا التعذيب بقوله : « إن الشيطان أغراني ففعلت » وعقوبة المجرمين يرتبها نظام مستبد ولكنه لطيف حكيم . ويكون عادة بإلزامهم القيام ببعض الأشغال العمومية مقابل قوت قليل ، مثل نقل القمامة وحفر القنوات الخ . وقد يجند الشبان الأقوياء متى كانت التهمة طفيفة . ويستحق محمد على على استخدامه المجرمين لإصلاح البلد وتحسينه المدح الذى كان وقفاً على سابا كون Sabacon[4] الفاتح الحبشى وملك مصر الذى يقال إنه أدخل هذا النظام ؛ إلا أن الباشا كان شديداً فى معاقبة الجرائم التى ترتكب ضد شخصه فالإعدام هو العقوبة العادية فى أحوال كهذه

(١) من التركية « تول لق »

(٢) والعامة يقولون « كركون »

(٣) كثيراً ما يستبد القائمون بأمر هذا المجلس وما أشبه كما أن إتمام الاجراءات بقصه الوقار والأدب . فكثيراً ما يستعمل الموظفون الأتراك حتى الكبراء منهم ألفاظا لا أستطيع أن أذكرها لشدة ما تتقزز منها النفس ، نحو المتقاضين .

(٤) سابا كو Sabaco أو شاباك Shabak أحد ملوك الأحباش . جرد حملة على مصر وتشر سلطانه عليها (٧٢٨ قبل الميلاد) . ولقب بملك مصر ، ولكنه ترك مباشرة الحكم لأخته أمنيريتس Ameniritis وزوجها بيانخى Piankhi . وكثيراً ما يرى شاباك وأخته على جدران معابد طيبة وغيرها .

وتؤكد الروايات اليونانية القديمة أن هذا الملك الحبشى حكم مصر حكما لطيفا فلم يلجأ أبداً إلى حكم الاعدام واستخدم المجرمين فى حفر القنوات وبناء الخزانات

(أنظر The Historians's History of the World الطبعة الخامسة سنة ١٩٢٦ الجزء الأول ص ١٧٦) (المترجم)

وهناك عدة مجالس دنيا لإدارة شئون الأقاليم المختلفة ، وأهمها : أولاً . « مجلس المشورة » ويقال أيضاً « مجلس المشورة الملكية » تمييزاً له عن المجالس الأخرى . ويختار الباشا أعضاء هذا المجلس والمجالس المشابهة الأخرى ممن يتحلون بمواهب أو صفات أخرى . ولذلك تخضع جميع قراراتهم لإرادته ورغباته ؛ وهم آلته ورهن إشارته ، ويكونون لجنة تشرف على إدارة البلد العامة وشئون الباشا التجارية والزراعية . وتعرض العرائض الموجهة إلى الباشا أو إلى ديوانه المتعلقة بالمصالح الخاصة أو بشئون الحكومة على أعضاء المجلس وتخضع لتقديرهم وحكمهم ، إلا إذا وقعت فى اختصاص المجالس الأخرى المذكورة فيما بعد . ثانياً (مجلس الجهادية) أو (مجلس المشورة العسكرية) واسمه يدل على مدى اختصاصه . ثالثاً مجلس (الترسخانة) أو البحرية . رابعاً (ديوان التجار) وقد أنشئ هذا المجلس الذى يتكون أعضاؤه من تجار مختلف البلاد والدين تحت رئاسة (الشاه بندر) لينظر فى بعض الأحوال الناشئة عن المعاملات التجارية الحديثة مما لم ينص عليه فى القرآن أو السنة

ويتولى قاضى القاهرة القضاء فى مصر مدة سنة واحدة ثم يرجع عند انتهائها إلى الآستانة . وجرت العادة أن يقوم القاضى من القاهرة مع قافلة الحج الكبيرة إلى مكة فيقضى واجبات الحج ويبقى فى المدينة المقدسة سنة واحدة ، وفى المدينة المنورة سنة أخرى[1] يقضى بين الناس . ويشترى القاضى منصبه بالممارسة من الحكومة التى لا تقيم أى اعتبار لمواهبه . غير أنه يجب أن يكون ذا علم ولو قليلاً ، وأن يكون عثمانلياً حنفى المذهب . وقلما يجيد القضاة اللغة العربية لأن مدرستها لا تلزمهم . ولا يكاد القاضى فى القاهرة يعمل شيئاً غير التصديق على حكم (نائبه) الذى ينظر فى أغلب الدعاوى العادية والذى يختاره القاضى من علماء استنبول ، أو التصديق على قرار (المفتى) الحنفى الذى يقيم دائماً فى القاهرة ويصدر فتواه فى القضايا الهامة ، ولكن النائب على الأكثر قليل المعرفة باللغة المصرية العامية

(١) جرت العادة أن يقدم القاهرة فى أول رمضان ولكن حدد فيما بعد أول محرم

ولذلك يجب على القاضي في القاهرة ، حيث يتكلم أغلب المتقاضين العربية ، أن يضع غاية ثقته في « الباش ترجمان » ؛ ومنصب هذا دائم ، ومن ثم فهو يعرف أنظمة المحكمة ، وخاصة نظام الرشوة ، وهو على أتم استعداد لأن يلقن هذا النظام لكل من يستجد من القضاء والنواب . وقد يكون القاضي جاهلاً بالشرع جهلاً فاضحاً في كثير من تفاصيله ، وقد حدثت عدة أمثلة من هذا النوع ، ولكن يجب أن يكون النائب بارعاً في الشرع علماً وعملاً

وعندما يرفع الشخص قضية يذهب إلى المحكمة ويطلب من الباش رسول أن يرسل (رسولاً) ليحضر الخصم ، ويتناول الرسول قرشاً أو قرشين[1] يقسمهما مناصفة بينه وبين رئيسه على انفراد . ويحضر المدعي والمدعى عليه في بهو المحكمة الكبير : وهو غرفة كبيرة تواجه فناء فسيحاً ، ولها واجهة مكشوفة بها صف من الأعمدة والعقود ، ويجلس فيها كتبة يسمى الواحد منهم « شاهداً » ، وعمله أن يصغي إلى أقوال الطرفين في القضية ويدونها ، ورئيسهم الباش كاتب ، ثم يقصد المدعي أي واحد من هؤلاء الكتبة ويقرر أمامه ظروف القضية ... فيكتبها الشاهد كتابة ، ويتناول جعلاً قدره قرش أو أكثر ، ثم بعد ذلك يصدر حكمه إذا كانت القضية لا قيمة لها والمدعى عليه يعترف بمديونيتها ، وإلا قدم الطرفين إلى النائب في غرفة داخلية . وبعد أن يسمع النائب القضية يأمر المدعي أن يستصدر فتوى من مفتي الحنفية الذي يتناول جعلاً يندر أن يقل عن عشرة قروش، ويزيد غالباً على مائة قرش أو مائتين ، ويصدر النائب حكمه في القضايا التافهة منفرداً وبأقل تعب . أما القضايا المهمة أو المعقدة فإنها تنظر في غرفة القاضي الخاصة أمام القاضي نفسه والنائب ومفتي الحنفية الذي يستدعى للفصل فيها بفتوى ؛ وقد تزيد القضية صعوبة أو أهمية ، فيستدعى بعض علماء القاهرة ؛ وبعد أن يصغي المفتي إلى القضية يصدر حكمه كتابة ، فيصدق القاضي عليه ويختم الورقة بختمه ، وهذا كل ما عليه أن يعمله في أي قضية . ويستطيع المتهم أن يبرئ نفسه باليمين إذا لم يقدم المدعي شهوداً ، فيضع يده اليمنى على القرآن ويقول : بالله العظيم ثلاث مرات ، مردفاً : وبما يحتويه هذا من كلام الله . ويجب أن يكون الشاهد عدلاً أو يزعم أنه كذلك ، وألا تكون له مصلحة في القضية . ويلزم لكل دعوى شاهدان[1] على الأقل أو رجل وامرأتان ، ويجب أن يزكى الشاهدين شخصان آخران . وشهادة الكافر على المسلم لا تجوز شرعاً في حالة العقوبة الشديدة . والشهادة لصالح الابن أو الحفيد أو الأب أو الجد لا تقبل وكذلك شهادة الأرقاء ، ولا يستطيع السيد أن يشهد لصالح عبده .

(يتبع) عبد الحميد طاهر نور

(١) وكان القرش المصري عندما كتب هذا يساوي خمس الشلن أو بنسين وخمسي بنس ٢ ٢/٥

(١) هذا الحكم أخذ من الأسفار الموسوية الخمسة . أنظر التثنية الاصحاح ١٩ الآية ١٥ ونصها : لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما أو خطية ما من جميع الخطايا التي يخطئ بها على فم شاهدين أو على فم ثلث شهود يقوم الأمر . ويستطيع الرجل أن يمتنع عن الشهادة

إعلان

تعلن وزارة الزراعة للمرة الثانية عن بيع ثمار موالح بتفتيش الزراعة بالجيزة مركز السنطة غربية بجلسة علنية ستعقد بديوان التفتيش الساعة العاشرة من صباح يوم ٨ نوفمبر سنة ١٩٤١ فعلى من يرغب في الشراء معاينة الثمار والحضور في الجلسة ومعه التأمين عشرة في المائة من قيمة عطائه والوزارة الحق في قبول أو رفض أي عطاء بدون إبداء الأسباب

٨٧١٨

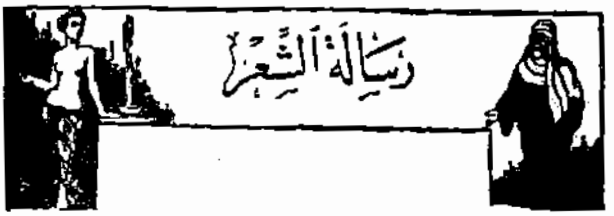

إلى . . . ؟ !

« للشاعر المجهول »

تحدثتَ بالهتّاف[1] أنك حاضرٌ ... لإيناس رُوحى بعد بضع دقائق
فكيف ترى عيشى يطولُ فأجتنى ... على شغَفى أرواح تلك الشقائق
ألوفٌ من الأحلام طافتْ فداعبتْ
فؤادَ أسيرٍ ظامئ الروحِ وامق
فما صحّ حُـــلْمٌ فى هواك ولا انتهتْ
على اليأس مَوْجاتُ الدموع الدوافق
أأنتَ برغم الصدّ والدّل قادمٌ ... لإسعاد مشتاقٍ وإنجاد عاشق ؟
أمثلك تَسديه الحيـــاةُ إلى فتًى
مَريد الهوى والشوقِ وَعْرِ الخلائق ؟
وكيف أرى داري على ضِيق ساحها
تحيط بديّان الشموس الشوارق ؟
سألقاك ـ هل ألقاك ؟ ـ فى ثوب ضَيْغَمٍ
يرى الرفق بالغزلان إحدى البوائق
تعالَ تجدْنى جذوةً من صبابةٍ ... تسعّرُ فى صدرٍ مَشوقٍ وشائق
لِنجواكَ أستبقى شبابى فعاطِنى
كؤوس الهوى قبل ابيضاضِ المفارق
وأعْزِزْ فؤاداً لو أردتَ جملتَهُ
أعزّ من الشّغواء[2] فى رأس شاهق

لقد مالت الدنيا وجافتْ وجانَبَتْ ... فكُنْ مُنقِذي من جَورها المتلاحق
إذا كنتَ لى يوماً ولو بعض ساعةٍ ... تجودُ بها جُود الحبيب الموافق
فسوف أرى الدنيا على سوء بغيها
أطايبَ من لَهْوِ الشبابِ الغُرَانِق

* * *

دقائقُ كالأعوام طالتْ ولم تجِئ ... حَماكَ إلهُ الحبِّ من كُلّ عائق
سيَقتُلنى شوق إليك فهل أرى ... خيالك عند الموت وهو مُعانِقى
أُحِبُّكَ حُبَّ القلب الوَحْى فالْقَنِى
ولو لحظةً يَنْفُذْ إلى الغيب بارق
شَبَبْتَ بقلبى ثورةً لم تُعانِها
جوانحُ مَشغوفٍ ولا صدرُ حانق
وصيّرتَنِى لا صرتَ مِثلَ عِبرةً
لِكُلّ أَلوفِ الروح جمّ العلائق
فحَتّى متى أحنو عليك ولم أكنْ
بحفظك الميثاق يوماً بوائق
أُحِبُّكَ حُبَّ العين للنور فاهدنى
إلى الصبر عن لُقياك إن كنت صادقى
وهل أبصر الراءون من عُصبة الهوى
نظيرَكَ فى أوهامهم والحقائق ؟
لكَ المجدُ بينَ الخالقين فولِّنى
قضاءَ الأسى بين القلوب الصوادق
أُحِبُّكَ حُبًّا لو تمثّلتَ وَقْدَهُ
لأمسيتَ فى كربٍ من الحُزن ساحق

* * *

إلى الله أشكو ما أعانيه من جوًى
هو الدهرُ يَرمى بالصروف الصواعق
إلى خالق الأرواح أشكو بَلِيّتى
برُوحٍ غَدورٍ فى الغرام ومَاذِق
تؤرّقنى أطيافُ ذكراهُ سُحْرَةً
برَوْعٍ كأهوال الخطوب الطوارق
فما الذنبُ؟ ماذنبى وما كنتُ فى الهوى
سِوَى شاعرٍ للصدقِ فى الحبِّ خالقِ
ستطْوَى أحابيلُ المِلاحِ وتنطفى
على الدهر نيرانُ الشُّجون المَواحِق
ويَبقَى نَشيدى فى هواكَ وثيقةً
تُسَجِّلُ أحلامَ القلوب الخوافق

« الشاعر المجهول »

---

(١) الهتاف : هو التليفون
(٢) الشغواء : العقاب بضم العين

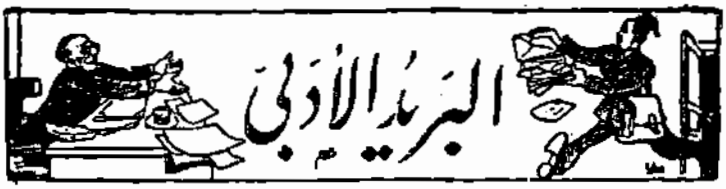

المحتسب في الإسلام

نشرت مجلة الجمعية الصحية المصرية في عدد من أعدادها الأخيرة مقالاً قيماً للدكتور فريد بك حلمي المفتش بوزارة الصحة عن نظام التفتيش على المأكولات والاشتراطات الصحية في العهد الفاطمي معتمداً في بحثه على كتاب « معالم القربة في أحكام الحسبة » لمؤلفه محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الأخوة ، أثبت فيه أن المحتسب كان يقوم في هذا العهد بوظيفة مفتش مأكولات ومعاون صحة ومفتش موازين ومفتش بيطري ، وبالجملة يعتبر من رجال الضبطية القضائية ؛ وكانت الاشتراطات التي يفرضها المحتسب على المحلات لا تقل دقة عن اشتراطات وزارة الصحة اليوم إن لم تفقها ، وللتدليل على ذلك نذكر بعض ما يخص الجزارين قال :

« لا يجر الجزار شاة برجلها جراً عنيفاً ، ولا يذبح بسكين كالة لأن في ذلك تعذيب الحيوان ، ولا يشرع في السلخ بعد الذبح حتى تبرد الشاة وتخرج منها الروح . وينهى الأبخر عن النفخ في الشاة عند السلخ لأن نكهته تغير اللحم وتزفره ، ويمنع المحتسب القصابون من الذبح على أبواب دكاكينهم فإنهم يلوثون الطريق بالدم والروث ، وهذا منكر يجب المنع منه ، وأن يفردوا لحوم المعز عن لحوم الضأن ، وينقطوا لحم المعز بالزعفران ليتميز عن غيره وتكون أذناب المعز معلقة على لحومها إلى آخر البيع ولا يخلط لحم الذكر بالأنثى » .

هذا جزء بسيط مما كان يقوم به المحتسب ، ومثل ذلك كان يفرض على كافة الحرف والصناعات .

وكان المحتسب يدخل في صميم الصناعة بشكل يعجب به ابن القرن العشرين لمعرفته بطرق الغش التي تخفى على الكثيرين ، والتي لا تعلمها شروط وزارة الصحة إلا عن بعد . ومن شروط الحسبة والمحتسب أن يكون مواظباً على سنن رسول الله (صلعم) ، وأن يكون عفيفاً عن أموال الناس ، ووظيفته أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته الخ .

« كوم حماده » فاضل يوسف

أصل كلمة النفط

أرى أن كلمة النفط عبرية الأصل ، وتنطق في العبرية نُفتِ وقد وردت في التوراة في مواضع مختلفة بمعنى التقطير أو القطر أو القطرات ، وهو المعنى الأصلي الذي أخذ منه اسم زيت البترول (نفت) لعلاقة التقطير أو القطر في كلٍّ .

ففي الآية الثالثة من الإصحاح الخامس من كتاب الأمثال « لأن شفتي المرأة الأجنبية تقطران عسلاً (نفت) وفمها أنعم من الزيت » . وفي الآية الثالثة عشرة من الإصحاح الرابع والعشرين من الكتاب نفسه « يا بني كل عسلاً لأنه جيد وقطره (نفت) حلو في فمك »

وفي الآية الثالثة عشرة من المزمور التاسع عشر نجد « وأحلى من العسل وقطر (نفت) الشهد »

والأمثال والمزامير من أقدم كتب التوراة . ولا أذكر أنني عثرت في الأدب الجاهلي أو الإسلامي على كلمة نفط أو نفت فمن المرجح إذاً أن تكون الكلمة عبرية الأصل دخلت العربية بعد الفتح الاسلامي . هذا إلى أن كلمة (نفت) أو نفط مستعملة في الفارسية الحديثة والقديمة . وأذكر أنني قرأتها في الشاهنامة الفارسية ، وإن كنت لا أستطيع الآن وهنا أن أنص على موضعها لعدم المرجع

(بحت الرضا . سودان) عبد العزيز عبد المجيد

في نقد الأصول

ذكرني الدكتور حسن عثمان في بحثه — نقد الأصول — الذي هو فصل من بحوثه القيمة التي ينشرها في « الرسالة الزهراء » تحت عنوان (كيف يكتب التاريخ) ذكرني ذلك بما كنت قرأته في ترجمة الخطيب البغدادي المؤرخ العظيم ، فإنه لما رجع من مكة إلى بغداد تقرب من رئيس الرؤساء أبي القاسم بن مسلمة وزير القائم بأمر الله ، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً

وادعى أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادات الصحابة وأنه خط على رضى الله عنه ؛ فعرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب فقال : هذا مزور ، فقيل له من أين لك ذلك ؟ قال في الكتاب شهادة معاوية ابن أبي سفيان ومعاوية أسلم يوم الفتح وخيبر كانت في سنة سبع ؛ وفيه شهادة سعد بن معاذ وكان قد مات يوم الخندق في سنة خمس . فاستحسن ذلك منه

محمد أبو البهاء

في الخوارج

كتب الأستاذان الصعيدي والأفغاني (في الأعداد ٤٢٢ ، ٢٣ ، ٣١) في تحقيق نسبة كلمة في الخوارج إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى سيدنا علي بن أبي طالب . وسأل الأستاذ الصعيدي عن المصدر الذي نسب هذا القول إلى علي ، وأجاب الأستاذ الأفغاني بأنه (العقد الفريد)

وإليك رواية تؤيد أن الخبر من كلام سيدنا علي وردت في قديم المصادر ووثيقها . قال الهيثم بن عدي حدثنا إسماعيل بن خالد عن علقمة بن عامر قال : سئل علي عن أهل النهروان أمشركون هم ؟ فقال من الشرك فروا ، قيل أمنافقون ؟ قال إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً ، فقيل فما هم يا أمير المؤمنين ؟ قال إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا . فهذا ما أورده ابن جرير الطبري وغيره في هذا المقام . أنظر (البداية والنهاية لابن كثير) ج ٧ ص ٢٨٩ و (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي) ج ٦ باب في الخوارج ، باب في أهل النهروان

أحمد صفوان

هو الضيافة

طلع علينا العدد (٤٣٠) من « الرسالة » وهو يحمل مقالاً قيماً للأستاذ — علي الطنطاوي — عن « حق الضيافة » وقد رأيت هذا المقال الممتع ثورة على أخلاقنا ونقداً لتقاليدنا وصورة من صميم الحياة المصرية فكشف الستار عن داء عضال في المجتمع يجب استئصاله ؛ وهذا لا يتنافى مع الشهامة والكرامة . فقد اتخذت الضيافة في هذه الأيام وسيلة للمضايقة ومجالاً للتسلية والمسامرة وضياعاً للمصالح . وما أحوج مصر الحديثة التي أصبحت في احتياج إلى اتجاهات جديدة أن تجد من حملة أقلامها وقادة الرأي فيها مثل هذه الشجاعة فيثورون على هذه التقاليد التي تضر ولا تنفع . فإلى الأمام يا أستاذ — الطنطاوي — وأكثر من هذه الأبحاث ففيها ترقية للذوق الشرقي وتهذيب للأخلاق وسعادة للمجتمع والله موفقك ومبارك غايتك

محمد أحمد عمر

عبر كزا ...

رداً على الأستاذ الكبير « ا . ع » أقول :

كنت احتججت ببيت سواد بن قارب

فشمّرت عن ذيلي الإزار وأرقلت

بي القعلبُ الوجناء عبر السباسب[1]

وقلت في الحاشية : « ولعل من الإنصاف أن أقول : يمكن تخريج الشاهد على غير ما استشهدت له بجعل عبر صفة للناقة الخ » ومن ثم يرى القارئ أني لم أوجب أحد الرأيين ، وأني أجزتهما ولكني — في هذا الشاهد — رجحت العبر بمعنى العبور ، على أن يكون مصدراً مراداً به اسم الفاعل

ولكن الأستاذ « ا . ع » يحتم في رده أن تكون صفة ثالثة للناقة لا غير . ويرى أن الشاعر في مقام تمديد محاسن ناقته وما فيها من مزايا ، فهو يصفها بالفتاء والقوة ، وبأنها قادرة على شق السباسب الخ ...

ورداً على ذلك أقول : لا يتعين في هذا الشاهد قصر المقام على تمديد محاسن الناقة ، فإن في قوله « القعلب » أو هي الناقة السريعة ، و « الوجناء » وهي القوية الشديدة ، كما في اللسان ما يغني عن الوصف بأنها « عبر سباسب » ، وهو معنى لا يغاير سابقيه كثيراً

ويؤيدني فيما أذهب إليه ورود البيت في بعض الروايات على معنى الظرفية لا الوصفية . ففي السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٦٧ :

فشمرت من ذيل الإزار ووسّطت

بي القعلب الوجناء بين السباسب

وكذلك الرواية في (سفينة الراغب ص ٦٣٨) نقلاً عن (أنوار الربيع في أنواع البديع)

(١) وثم تخريج ثالث في البيت لا أرى ما يمنعه ، بجعل العبر بمعنى الجانب أو الناحية كما في القاموس واللسان ، وتكون منصوبا لأرقلت بمعنى قطعت ، قال في اللسان : « وأرقل المفازة قطعها »

وليس معنى هذا أنني أؤيد استعمالها ظرفاً ، ولكني لا أزال أرى أنها مصدر وقع موقع اسم الفاعل . فقد خرج من حسابنا ما ساقه الأستاذ من الأدلة على أنها ليست ظرفاً ، فهو رأي لم أقل به .

ونرجع إلى التخريج الذي رأيته ، ونجيد الأستاذ أن يفنده ، فقال : إن المصدر لا يقع حالاً إلا إذا كان نكرة ، و « عبر السباسب » معرفة بالإضافة ، وأبطل بهذا — في زعمه — تخريجي .

وأقول : إن الأستاذ لم يتبين رأيي على وجهه الصحيح ، إذ توهم أني أرى « عبرا » مصدراً أريد به الحال ، ولم أقل هذا ، وإنما قلت : إنه مصدر وضع موضع اسم الفاعل ، فهو عبر بمعنى عابر ، كما في قوله تعالى : (إن أصبح ماؤكم غورا) ، أي غائراً ؛ ورجل عدل ، أي عادل ...

وسواء وقوع هذا المصدر بعد ذلك حالاً أو خبراً أو فاعلاً الخ فذلك راجع إلى السياق ... فقد أصبحت القضية الآن : هل يشترط تنكير المصدر إذا وقع موقع اسم الفاعل ، بصرف النظر عن كونه حالاً أو غير حالاً ؟

لم يقل أحد هذا ، فأنت تقول : « قاضيكم العدل » ، أي العادل ، و « أنصفني عدلكم » ، أي عادلكم . فأنت ترى أني لم أنص على أن كلمة « عبر حال » — حتى يشترط تنكيرها — وإنما نصصت على أنها مصدر بمعنى فاعل ، وكونها « حالا » أمر اقتضاه سياق الكلام في الجمل التي ساقها الأستاذ وساعد عليه أن المصدر سيقتفد تعريفه بعد التقدير ، وسيصير المضاف إليه مفعولاً ، وذلك في قولك : « عابرة الأطلنطي » ؛ فليس ثم ما يمنع من أن يكون المصدر « حالا » بعد أن فقد تعريفه

وبعد ... فإني أنشد الحقيقة ... وعلى الأستاذ أن يقنعني — إن استطاع — فأسلم له . ومني عليه التحية

« بني سويف » محمد محمود رضوان
المدرس بالمدرسة الابتدائية

حول كلمة « عبر »

سيدي الأستاذ الكبير « الزيات »

سلام الله عليك . قرأت بإعجاب كبير ما دبجته يراعة الأستاذ الكبير « ا . ع » خاصاً باستعمال كلمة (عبر) ظرفاً وبيان وجه الخطأ في ذلك . وإنا نوافق الأستاذ الكبير على كل ما أورده في كلمته القيمة ؛ أما ادعاء الأستاذ محمد محمود رضوان صحة استعمال (عبر) ظرفاً واستشهاده على ذلك بقول سواد بن قارب :

فشمرت عن ذيلي الإزار ، وأرقلت
بي الدعلب الوجناء عبر السباسب

فهو ادعاء باطل من وجهين :

الأول : احتمال كون (عبر) صفة للناقة ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال

الثاني : فساد المعنى بجعل (عبر) ظرفاً بمعنى بعد ؛ لأنه لا معنى لإرقال الناقة بعد قطع السباسب والانتهاء إلى غايتها

وعندي أنه يصح أن تكون (عبر) في هذا البيت مصدراً مفعولاً لأجله ، ويكون المعنى أن الناقة أرقلت لعبر السباسب أي لعبورها . وهو معنى صحيح مناسب لا غبار عليه

هذا ، والأستاذ الكبير إعجابي الكبير بأبحاثه اللغوية الممتعة .

والسلام عليكم ورحمة الله ابراهيم محمد نجا

الصباح الأدبي في دمشق

أصدر فريق من أبناء دمشق الناهضين صحيفة أدبية راقية باسم « الصباح » ولم يشأ القائمون بهذا المشروع أن يكتفوا بالشبان من الأدباء ، بل اتفقوا مع فريق من أكابر الأدباء والأديبات في البلاد العربية ، كي يغذوا « الصباح » بثمرات أقلامهم الناضجة ، وفي مقدمة هؤلاء الأساتذة :

محمد كرد علي ، شفيق جبري ، خليل مردم بك ، عبد القادر المغربي ، محمد البزم ، ميشيل عفلق ، فؤاد الشائب ، صلاح الدين المحايري ، زكي المحاسني ، وداد سكاكيني ، فلك طرزي ، وغيرهم .

ومما لا ترتاب فيه أبداً أن « الصباح » ستكون كما ظهر من عددها الأول مرآة صادقة للأدب الجديد الناهض في سورية .

ع . ع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)